الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة 8 ماي 1945-قالمة-. **كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.**

قسم علم الآثار.

مذكرة الدروس لمقياس: العمران والعمارة الإسلامية

موجهة للطلبة الثالثة الليسانس آثار عامة.

السداسيين: الخامس والسادس.

من إعداد الدكتور: فـــؤاد بـوزيد –أستاذ محاضر أ-.

السنة الجامعية: 2024/2023.

السداسيين: الخامس + السادس. **المستوى: الثالثة الليسانس.**

وحدة التعليم: الوحدة الأساسية. **الميدان: العلوم الإنسانية والاجتماعية.**

الشعبة: علم الآثار. **المادة: العمران والعمارة الإسلامية.**

الرصيد: 5 **المعامل: 2**

أهداف التعليم: يهدف هذا المقياس إلى تعريف الطالب لأهم المنشآت المعمارية المشكلة للمدينة الإسلامية على غرار المنشآت الدينية والعسكرية والمدنية، ضف إلى ذلك معرفة الطالب لأهم العناصر المعمارية المشكلة للمعالم الأثرية الإسلامية هذا من جانب ومن جانب آخر معرفة لأهم المدن الإسلامية المنتشرة بالمغرب الإسلامي وكذا الأندلس.

السداسي الخامس

المحور الأول: استراتيجية العمران في الفكر الإسلامي.

1- مفهوم المدينة ونشأتها.

2- منهج الفكر العمراني عند المسلمين.

3- روّاد الفكر العمراني عند المسلمين.

4- فقه العمارة الإسلامية.

5- تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة الإسلامية.

المحور الثاني: التّخطيط المادّي للمدينة الإسلامية.

1- نشأة المدينة الإسلامية ومراحل تطوّرها.

2- شروط اختيار مواقع المدن والظروف المتحكمة في انتشار العمران الإسلامي.

3- خصائص تخطيط المدينة الإسلامية.

4- أنماط المدن الإسلامية المبكّرة.

المحور الثالث: مفاهيم عامّة حول العمارة الإسلامية.

1- الخصائص التّقنية والفنّية في العمارة الإسلامية.

2- مدارس وطرز العمارة الإسلامية.

3- ابتكارات العمارة الإسلامية.

4- تأثيرات العمارة الإسلامية على غيرها.

5- مكونات العمارة الإسلامية.

السداسي السادس

المحور الأول: تطور الحركة العمرانية ببلاد المغرب الإسلامي.

1- الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد المغرب.

2- الخصائص العامة للعمران ببلاد المغرب الإسلامي.

3- العوامل البشرية والطبيعية المتحكمة في حركة العمران ببلاد المغرب الإسلامي.

4- المدن ببلاد المغرب الإسلامي في فترة القرون الوسطى.

5- عمران الجزائر في الفترة العثمانية.

المحور الثاني: العمارة الإسلامية ببلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط.

1- العمارة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي.

2- العمران والعمارة الإسلامية بالأندلس.

3- نشأة وتطور الطراز المغربي - الأندلسي.

المحور الثالث: العمارة الإسلامية في بالجزائر في الفترة العثمانية.

1- مفاهيم عامة حول العمارة العثمانية.

2- العمارة المدنية العثمانية بالجزائر.

3- العمارة الدينية والجنائزية بالجزائر.

4- المنشآت الدّفاعية والعسكرية.

السداسي الخامس

المحور الأول: استراتيجية العمران في الفكر الإسلامي.

(المحاضرة رقم: 01 +02 +03).

1- مفهوم المدينة ونشأتها.

2- منهج الفكر العمراني عند المسلمين.

3- روّاد الفكر العمراني عند المسلمين.

4- فقه العمارة الإسلامية.

5- تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة الإسلامية.

1- مفهوم المدينة ونشأتها:

قبل التطرق إلى مفهوم المدينة واجب التعرف على ما هو العمران أولا لذكر أهم المصطلحات ذات ارتبط وثيق بالعمران ألا وهي الحاضرة والمدينة والأمصار.

1-1 مفهوم العمران:

العمران لغة العمائر جمع عَمارة أو عِمارة بمعنى عمارة الأرض، وهي فوق البطن من القبائل أولها الشعب ثم القبيلة ثم البطن ثم الفخذ؛ وهو نقيض الخراب وما يعمر به البلد ويحسن حاله بواسطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي، وحضارة وعمران، أي حركة وأعمال وتشيد وتمدن، العمران هو مصدر من عمر الأرض يعمرها عمارة وعمرانا، ومن باب عمارة الأرض يقال عمّر الإنسان الأرض عمارة، والمعمورة من عمِرت والاسم والمصدر العمران؛ ولم يرد لفظ العمران في القرآن الكريم وإنما ورد فيه ما يفيد الإعمار والتعمير بقوله تعالى: "واستعمركم فيها" سورة هود الآية رقم 60، وفي قوله كذلك: " وعمروها أكثر مما عمرها" سورة الروم الآية رقم 9، وقوله كذلك: " وعمارة المسجد الحرام" سورة التوبة الآية رقم 19، كلها ألفاظ تفيد تعمير الإنسان لمنطقة معينة بقصد العيش وعبادة الله تعالى؛ أما اصطلاحا فالعمران هو التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشيرة أو اقتضاء الحاجات، لما في طبائعهم من التعاون على المعاش، ومن العمران ما يكون بدويا، ويكون في البوادي وضواحي الجبال وأطراف الرمال، ومنه يكون حضريا، وهو عمران الأمصار

والقرى والمدن، وقد ربط ابن خلدون بين العمران وميل الإنسان إلى التمدن في قوله: "ولابد من الاجتماع لأن الاجتماع الإنساني ضروري"، وهو أيضا المكان الذي يوجد فيه السلطان يقيم الحدود وقاض ينفذ الأحكام، وهو أيضا الاستقرار في رقعة جغرافية بصفة دائمة، والعمل على إقامة بنيان وتأهليها بالسكان، والعمل على استقراره، كما وردت في المصادر عدة مصطلحات ذات ارتباط وثيق بمصطلح العمران ومنها نذكر:

1-2- الحاضرة:

الحاضرة هي من الحضر خلاف البادية، والحاضر خلاف البادي والحاضر هو المقيم في المدن والقرى، والبادي هو المقيم في البادية، والحضر والحضرة والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقري والريف، وسميت بذلك لأن أهلها حضر، فنقول فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية؛ أما الحاضرة اصطلاحا هي من الظواهر العمرانية، وقد تطور مفهومها بتطور حياة السكان بها، والحاضرة والحوضرة ظاهرتان مرتبطان ببعضهما، فالحوضرة هي مجموع المراحل التي مر بها الحاضرة من نشأتها إلى تطورها وامتدادها، حيث تضم المدن الواقعة في فلكها وهناك المدينة الحاضرة التي يتم فيها استحداث أنشطة تتمكن بفضلها دون باقي الأنشطة، وهي بهذا تكون المدينة الأم في الإقليم ونواته.

1-3- المدينة:

المدينة لغة هي الأمة لأنها مملوكة، ومدن المدائن تمدينا أي مصّرها، كما أنها تعود إلى لفظ دين الذي يعني في اللغة الآرامية والسامية العدل، والقانون والديّان هو القاضي، ومدينتنا تعني مكان القضاء، وهي مصر الجامع، والحصن يبنى في أصطمة الأرض، جمعها مدنٌ ومدائن، وهي أيضا حسب ابن منظور من مدن بالمكان بمعنى أقام به؛ والمدينة هي كل مستوطنة يوجد فيها منبر إذ يعني وجود المنبر بالمسجد الجامع، فيذكر الأصطخري أنه بفلسطين على ضيق رقعتها نحو عشرين منبرا، وذلك يعني أن فلسطين على صغرها كانت تضم عشرين مدينة، ويعني مصطلح المدينة أيضا السلطة والمسرح والسوق وماء الشرب وتحديد الحدود وأعضاء يمثلونها في المجلس، وقد ارتبطت بالحاجة إلى تنظيم استغلال الماء وتنظيم أعمال الري وقيام مشروعاته التي تحتاج إلى إدارة تنظمها؛ ويرى ابن

خلدون أن عملية التحضر وسكن المدن ظاهرة اجتماعية حتمية يهدف إليها سكان البداوة الذواقين لحياة الدعة والهدوء والترف، وفي تقديره أن هذا التحول يتم عن طريق الهجرة.

1-4-المصر:

المصر هو المدينة المعروفة تذكر وتؤنث، والمصدر هو الأمصار يقال فلان مصّر الأمصار تمصيرا بمعنى مدّن المدن، ويذكر الزمخشري في معجمه بقوله: "مصّر الأمصار أي بناها، ومصر عمر سبعة أمصار منها المصران البصرة والكوفة"، والمصر في كلام العرب كل كورة تقام فيها الحدود؛ والمصر هو كل بلد حله السلطان الأعظم وجمعت إليه الدواوين وقلدت منه الأعمال وأضيفت إليه مدن الإقليم، ضف إلى ذلك هو كل بلد جامع تقام فيه الحدود ويحله أمير ويقوم بنفقته ومن أمثلة هذه المدن الجامعة مدن القيروان ودمشق وبغداد؛ والمقصود بعمارة الأمصار هي الأوطان الجامعة والتي يستوطنها أهلها طلبا للسكون والدعة وحفظ الأموال فيها من استهلاك وإضاعة، والأمصار نوعان وهما مصر المزارع والسواد ومصر الفرص والتجارة.

2- منهج الفكر العمراني عند المسلمين:

يبدأ الفكر الإسلامي العمراني من الأعم ليشمل السياسة العامة لينتهي في تخصص دقيق ما يجعله مميزا بالشمولية في مبادئه العامة، وللبحث في الفكر العمراني الإسلامي يجب البدء من عرض سياسة العمران للدولة بصفة عامة ثم التنقل إلى الفكر الموجه لتخطيط المدن، ليصل إلى دراسة مختلف الحرف والصناعات المتصلة بالعمران؛ ولقد تنوعت المصادر المتناولة للفكر العمراني الإسلامي ومن بينها نذكر:

- المصادر المهتمة بالاجتماع السياسي.
-المصادر الفقهية وكتب الحسبة.
- المصادر الجغرافية والتاريخية التي تناولت خطط المدن وتاريخها.
- كتب الآداب التي تمس السلوك الاجتماعي.
- مصادر ووثائق القضاء الإسلامي التي تشمل حالات التنفيذ القضائي المنظم لعمليات البناء بالمدن الإسلامية.

وكل هذه المصادر تسجل حياة المدينة تسجيلا صادقا، كما تبرز أهمية العلاقة بين دراسة المدن الإسلامية ودراسة التراث الإسلامي المدون في المخطوطات والوثائق هذا من جانب ومن جانب آخر، الكثير من الجوانب الأثرية يتأكد بصورة سليمة بهذه المصادر؛ لقد تضمنت كتب التاريخ الاجتماعي السياسي وضع الأسس والنظريات بحسب الحاكم المسلم اتباعها فيما يخص سياسة العمران، ومن بين هذه المصادر نذكر: "سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال" لأبي الربيع، والذي كتبه للخليفة المعتصم العباسي، وكتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي، وكتاب "السياسة" لابن حزم، وكتاب "الشهب اللامعة في السياسة النافعة" لابن رضوان، و"مقدمة" ابن خلدون وغيرها، بحيث أشارت هذه المصادر إلى الكثرة من العمارة لأنها ركن من أركان الملك، كما ذهب بعضها باعتبارها الركن الخامس هذا من جهة ومن جهة أخرى، تناولت أهمية العمارة باعتبارها مظهر من مظاهر عظمة الملك وواجباته، حيث أكد الفكر الإسلامي على أن العمارة سبيل الملك بما تدره من الأموال عندما اعتبر الملك بالجند والجند بالمال والمال بالعمارة، وهذا ما يشير بوضوح إلى أن العمارة المحرك الأساسي للاقتصاد؛ كما يذكر "ابن خلدون" أن الدولة والملك للعمران بمنزلة الصورة للمادة، فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران دونها متعذر، حينئذ فاختلال أحدهما مستلزم اختلال الآخر، وأن عدمه مؤثر في عدمه؛ كما يشير الفكر الإسلامي إلى الأسباب التي تساعد على العمارة وحفظها كالعدل، فقالوا لا جباية إلا بالعمارة ولا عمارة إلا بالعدل، وفي السياسة بالعدل عمرت الأرض وقامت الممالك، كما دعا هذا الفكر إلى الاهتمام بالمزارعين ما يكشف عن رؤية عمرانية واعية لاسيما أن الكثير من المدن كانت تعتمد على أقاليمها على غرار سياسة الأمويين نحو تطوير مدنهم، وإذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الأرض، فيتركونها تتخرب ويهرب الزرّاع فتضعف العمارة والخراج معا، وينتج ضعف الجنود وطمع العدو عليها.

3- روّاد الفكر العمراني عند المسلمين:

يرى الكثير من الباحثين الغربيون والمسلمين الذين درسوا عمران المدينة الإسلامية، بأن الإسلام كان له فضلا كبيرا في تكوين الحضارة الإسلامية وإنشاء مدن وفق منهجية متميزة مصدرها الفكر الإسلامي؛ ومن أشهر العلماء المسلمين من أصحاب هذا الرأي، يمكن

القول بأن ابن الربيع هو من الأوائل الذين كتبوا في أسس وشروط مواقع المدن الإسلامية وشروط تخطيطها، وقد سار على نهجه كثير من العلماء على غرار قدامة بن جعفر الذي حدد المعايير التي تبين السبب في نشأة المدن وذلك في إطار فكري واسع بين منزلة الإنسان بين المخلوقات ويرتبط بطبيعة الإنسان وهي تعكس إدراك معايير الكثافة السكانية وتنوع النشاط الإجتماعي واختلاف الطبقات وضرورة وجود السلطة التي تنظم وتسوس هذه الهيئة الاجتماعية، وهي إذن ملخصة في أربع معايير وهي: كثافة السكان وتنوع الأنشطة وتباين الطبقات والسلطة المسيرة هذا من جانب ومن جانب آخر، نجد رواد آخرون حول الفكر العمراني وهم: ابن حزم الأندلسي والماوردي وابن منظور والمقدسي والقزويني وابن خلدون وابن الأزرق وغيرهم، كما نجد مجموعة من الجغرافيين المسلمين الذين أشاروا في كتاباتهم إلى المعايير التي تميز المدينة عن غيرها من مراكز الاستيطان الحضري فلها مسميات وأوصاف ترتبط برؤية واضحة تميزها وفق معايير محددة مثل: مدينة كبيرة، ومدينة صغيرة، ومدينة متوسطة، وقصبة، وقرية؛ وكان من نتيجة هذا النهج المتبع تأسيس العديد من المدن الإسلامية تشابهت في منهاجيتها المستمدة من مصادر التشريع الاسلامي وقيم الفكر الإسلامي.

4- فقه العمارة الإسلامية:

يعرف الفقه عند الفقهاء بأنه استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها، أو كما عرفه البغوي في تعليقه نقلا عن القاضي حسين: "أن الفقه افتتاح علم الحوادث على الإنسان، أو افتتاح شعب أحكام الحوادث على الإنسان..."، وفي الإصلاح فالفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية الناشئة عن الاجتهاد؛ وبدأ نشأة الفقه الإسلامي منذ بداية الدعوة الإسلامية، حيث حرص صحابة رسول الله(ص) على تعلم أحكام الشرع والتفقّه في أعمق أمور الدين.

ينضوي فقه العمران الإسلامي على أمرين مهمين فالأول يتعلق بالسياسة الشرعية بمعنى السياسة التي يتبعها الحاكم في المجال العمراني سواء كانت تتعلق بالأمور السياسية العامة أو بالعمران مباشرة وكلاهما يترك أثره على العمارة هذا من جانب ومن جانب آخر، يتعلق الأمر الثاني في فقه العمارة والمقصود به مجموعة القواعد التي ترتبت عليها حركية العمران نتيجة للاحتكاك بين الأفراد ورغبتهم في العمارة؛ ومن مصادر فقه العمران الإسلامي

أية في القرآن الكريم ألا وهي الآية رقم 199 من سورة الأعراف في قوله تعالى: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"، وعلى حديث نبوي شريف ونذكر من بين الأحاديث الخمسة التي يقوم عليها الفقه الاسلامي وهي: " الحلال بين والحرام بين...، لا ضرر ولا ضرار...، إنما الأعمال بالنيات...، الدين النصيحة...، ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم..."، حيث أتى كلاهما بمثابة المرجع الأساسي في فقه العمران الإسلامي الذي بات معمولا به وظل الاقتداء به منهجا وأسلوبا في العمارة والعمران الإسلامي، والمتفحص للتراث الفقهي المالكي في مجال البنيان يتأكد أن الفقه الإسلامي ذو طابع حضري، فقد ألف فقهاء المالكية كتبا مستقلة في الارتفاق وأحكام العمارة، ذات قيمة قانونية ونذكر على سبيل المثال:

– كتاب "**القضاء في البنيان**" للفقيه المالكي عبد الله بن عبد الحكم (توفي 271هـ) وهو من أقدم الكتب المؤلفة في أحكام البنيان.

– كتاب "**القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر**" للإمام عيسى بن موسى التطيلي(توفي 386هـ).

– كتاب "**الإعلان بأحكام البنيان**" لمحمد بن إبراهيم بن الرامي التونسي (القرن 8هـ).

بالإضافة إلى هذه الكتب المستقلة في مجال التعمير الكثير من المباحث المتضمنة في الموسوعات الفقهية والنوازل التي تناولت أحكام البنيان والقضاء المتعلق به، حيث تطورت هذه المباحث حتى ظهر عند الفقهاء علم قائم بذاته اسمه "علم عقود الأبنية" وعرفوه بأنه: "علم يتعرف منه أحوال أوضاع الأبنية وكيفية إحكامها وطرق حسنها كبناء الحصون المحكمة وتنضيد المنازل إليه والقناطر المشيدة وأمثالها وأحوال كيفية شق الأنهار وتقنية القني وسد البثوق وإنباط المياه ونقلها من الأغوار إلى النجود وغير ذلك..."؛ وكانت المدن الإسلامية تخضع للقواعد فقهية مقاصدية عامة وهي محل تنزيل من قبل فقهاء العمران ويمكن إيجازها في أربعة قواعد وهي:

- دفع المضار وجلب المصالح حيث بنى الفقهاء استنباط أغلب الأحكام المتعلقة بالعمارة والبنيان على دفع الضرر، معتمدين في ذلك على الأدلة الشرعية المتنافرة على وجوب منع

الضرر، ومن ذلك الحديث النبوي الشريف :"لا ضرر ولاضرار"، ومن أمثلة على ذلك منع الدباغ لأنه يؤذي جيرانه برائحة دباغة ومنع الفرن وجميع ما يضر المجال العمراني.

- تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة عند التعارض حيث حسم الفقهاء التعارض لصالح المصالح العامة نظرا لقوة أدلتها وعموم نفعها وكمثال عن ذلك منع التوسع في المباني الشخصية على حساب الطرق والمرافق العامة؛ كما ذهب الإمام أشهب المالكي إلى أن للسلطان أن يأمر بهدم ما اعتدى به على الطريق العامة، ولا ينبغي لأحد التزيد من طريق المسلمين كان في الطريق سعة أو لم يكن.
- ارتكاب أخف الضررين حيث اجماع الفقهاء على قاعدة وجوب ارتكاب أخف الضررين عند التقابل، وأصبحت صالحة للتطبيق في جميع مجالات الحياة، وبالأخص في مجال البنيان والعمران.
- تحكيم العرف وهو يعتبر من أهم الأدلة التشريعية التي يلجأ إليها المجتهدون في إجراء أحكام الفقه على الواقع في كثير من المجالات على غرار المباحث في العمران معتمدين على قاعدة العرف أشد الاعتماد ولا سيما في فض النزاع بين المتخاصمين على الحقوق؛ ضف إلى ذلك احترام سلامة البناء تفاديا للأضرار المتوقعة حيث حرص الفقهاء على ضبط الاجراءات في مجال البنيان ما يتصل به وفق قواعد سليمة احتياطا من الكوارث ولهذا الغرض ركزوا على ضوابط كثيرة للسلامة نذكر منها:

– احترام تحمل السقف عند بناء الطوابق.

– وجوب عدم هدم الجدران المهددة بالسقوط.

– منع إمالة الجدران وهدمها في حالة وقوع المخالفة.

–ضابط اتخاذ الرفوف والشرفات المطلة على الطرق العامة.

– قدر سعة الطرق ونوعية استعمالها.

–منع تضييق الطرق الرئيسية وحفرها أو الاضرار بها.

– منع قطع الطريق بالهدم أو غيره من الحواجز.

5- تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة الإسلامية:

إن الدين الإسلامي ينظم حياة المجتمع في أدق تفاصيله فهو يشكل الاطار العام لسلوك المجتمع داخل المدينة، فالحياة الاجتماعية بمدن العواصم الاسلامية قد تأثرت بمظاهر الرعاية والاهتمام، بحيث انعكست سياسة الحكام واختلافها من حاكم إلى آخر على حياة المدن، ونرى كمثل على ذلك بمدينة بغداد حين ساد التقشف والتضيق في النفقات في عهد المنصور الذي اتبع سياسة حازمة شديدة، كما شهدت نوعا من الرفاهية والترف في عهدي المهدي وهارون الرشيد، حيث كان المهدي محببا إلى الخاص والعام لأنه افتتح أمره بالنظر في المظالم والكف عن القتل هذا من جانب ومن جانب آخر، كانت حياة مجتمع مدينة القاهرة في ظل العهد الفاطمي تتسم بمظاهر الاحتفالات والمواكب، ومظاهر التسامح الديني مع المسيحين، وتلك المظاهر التي تسجلها الروايات التاريخية والشواهد الأثرية ممثلة فيما نراه من زخارف وتصاوير في آثار العصر الفاطمي، وكان الحال يتجلى في كل من فاس ومراكش وقرطبة؛ كما اتسمت الدولتين المرابطية والموحدية في ظل نشأتها بالشدة والبساطة ثم مالت للترف والرفاهية؛ كان اختلاط الأجناس في بعض المدن خصوصا في الفترة الأولى التي انتشر فيها الإسلام، وما تلك كاعتماد العباسيين على الفرس ثم على الترك، وما تلا ذلك من سيادة العنصر التركي، وكان أثره من الناحية الاجتماعية بالاعتماد على النظام القبلي والذي قام أسسه المجتمع الإسلامي، حيث كانت القبيلة هي الرابطة الاجتماعية التي يرتبط فيما بينهم العرب قبل الاسلام، إذ تقوم على رابطة الدم وبانتشار الاسلام في يثرب حل محله رابطة العقيدة، ما جعل العلاقة بين الناس قبل الاسلام مبنية على أساس قبلي أو منفعي، ولم تكن هذه العلاقة تبنى على أساس أخلاقي ديني، وقد رتب الدين الإسلامي على هدم العصبية القبلية بزوال علاقات التناصر بالباطل بين أفراد المجتمع استنادا لقوله تعالى:" وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان".

إن المجتمع المدينة الإسلامية كان يشكل مجموعة من فئات ونذكر منها أهل الذمة والتي قلت نسبتها أو زادت حسب طبيعة المدينة، وسارت حياتهم مع حياة الفئات المسلمين الأخرى وفق ما يعرف الحكم الإسلامي، وشاركوا أحيانا مشاركة حادة في الحكم والإدارة، كما كانت الفئات الدينية منهم تشتغل في مجموعة من الحرف والصناعات التي توارثوها

وظلوا محتفظين بها في الكثير من المدن هذا من جهة ومن جهة أخرى، نجد فئة ممثلة في الرقيق التي تمثل من الفئات الدنيا التي تشكل مجتمع المدينة الإسلامية، حيث شهدت أسواق النخاسين في بغداد آلاف من الرقيق الصقلي والرومي والنزنجي والتركي، وأطلق على أحد شوارع مدينة بغداد اسم شارع دار الرقيق، ضف إلى ذلك اشتهر سوق الرقيق في القاهرة والذي حددت له أحكام فقهية لما يتصل بهذه التجارة، وقد حددت أحكام التعامل معهم ونجد عدة تسميات على غرار الجواري والخصيان؛ لقد انقسمت الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية إلى طبقات متمثلة في الطبقة الحاكمة من الخلفاء والسلاطين والحكام والوزراء والأمراء، وطبقة العامة التي تندرج مستوياتها في فئات مختلفة تضم التجار ورجال الدين وأهل العلم وأصحاب الحرف والفلاحين وغيرهم؛ ومن القواعد الاجتماعية في المدينة الاسلامية أولهم ما ورد في حديث رسول(ص) وهو "لا ضرر ولا ضرار"، علما أن الفقهاء حددوا مظاهر الضرر الناتج من تفاعل النشاطات داخل المدينة الاسلامية على غرار الدخان والرائحة الكريهة والصوت المزعج، ما وجب إبعاد المنشآت التي تسبب في الضرار كأفران الفخار والجير، هذا إلى جانب ظاهرة الخصوصية التي أثرت تأثيرا واضحا في الحياة الاجتماعية، فقد حددت التعاليم الاسلامية نظام الحياة الأسرية بما يحفظ الحرمات والعرض، وقد أصدر الفقهاء أحكامهم التي تدعم الخصوصية ولم يتسامحوا في كشف حرمات المنازل بالنظر من أبوابها أو أثناء المرور في الشارع أو بالاطلاع على المنازل المجاورة من الأسطح والكوى التي تكشف بيوت الأخرين، على غرار ما وجهه الخليفة عمر حول المساكن المبنية بمدينة البصرة إلى عدم التطاول فيها وتنكيب الأبواب الخارجية المطلة على الشوارع المدينة.

كانت الأحوال الاقتصادية في مدن الأمصار موجهة نحو الاعتماد على الزراعة كمصدر ثابت للدخل، وما تبعه من ذلك من سياسة بناء الأسواق والمنشآت التجارية التي تساير هذا التطور، ويتجلى ذلك فيما اعتمده الأموين في البدء الأمر وما واسعه أكثر وأكثر في العهد العباسي، ويظهر ذلك في اهتمامه بالتجارة وتكثيف الزراعة ما نتاج ظهور الصناعات والحرف، كما يرتبط الازدهار الاقتصادي للمدن ارتباطا أساسيا بسياسة العمران

وإنشاء المدن واختيار مواقعها وتخطيط مواضيعها على غرار ما وصلت إليه مدينة القاهرة في عصر المماليك، والتي أصبحت أكبر مدينة في العالم الوسيط بعدما نجحت في استغلال التجارة العابرة في أراضيهم، بعد تحول الطرق التجارية عبر البحر الأحمر ومصر بسبب حروب المغول.

6- قائمة المراجع المعتمدة في المحور الأول:

- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م.
- خالد محمد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة سلسلة دورية، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، العدد: 58، ربيع الأول 1418هـ.
- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.
- فواز عاند جاسم، جوانب من بنية المدينة العربية الاسلامية ودواعي توثيقها، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد1، 2011م.
- جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1992م.
- ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت.
- محمد محمود كالو، فلسفة العمران الحضاري من منظور حضاري، العدد الأول، مجلة مقاربات، المجلس الإسلامي السوري، 2017م.
- السيد الحسيني، المدينة في علم الاجتماع الحضري، ط3، دار المعارف، مصر، 1985م.
- محمد عابدين، الفكر التنموي في مقدمة ابن خلدون، ع1، مجلة جامعة دمشق، 2009م.
- عبد الباقي إبراهيم، الخصائص العمرانية للمدينة الإسلامية، منظمة العواصم الإسلامية، القاهرة، 1991م.
- صالح بن علي الهذلول، المدينة العربية الإسلامية، أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، ط1، دار السهن، السعودية، 1994م.
- خضر طه عبيد، المدينة الإسلامية تاريخها وتخطيطها وعوامل ازدهارها وانحطاطها، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2013م.
- عزب خالد محمد مصطفى، فقه العمارة الإسلامية، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1997م.

المحور الثاني: التّخطيط المادّي للمدينة الإسلامية.

(المحاضرة رقم: 04 +05 +06 + 07)

1- نشأة المدينة الإسلامية ومراحل تطوّرها.

2- شروط اختيار مواقع المدن والظروف المتحكمة في انتشار العمران الإسلامي.

3- خصائص تخطيط المدينة الإسلامية.

4- أنماط المدن الإسلامية المبكّرة.

مع تشجيع الإسلام لبناء المدن انتشرت المراكز العمرانية ذات الطابع الإسلامي، وتعددت أشكالها ووظائفها بحيث أصبحت مع مرور الزمن مراكز إشعاع حضاري، التي يعتبر المسجد الجامع من عناصرها المحورية وقلبها النابض بالحياة، وقد امتازت المدينة الإسلامية بالتنوع والتكامل في استعمالات الأرض كما استطاع المعماري المسلم أن يبدع في عمارته بما يتوافق مع ظروفه السياسية وحاجاته الدفاعية كالقلاع والحصون والأسوار، وحاجاته الاقتصادية التي تستوجب وجود الأسواق والبازارات والقيساريات والضروريات الاجتماعية التي تقتضي إقامة المدارس والخانقاوات والبيمارستانات، زيادة على ذلك فالمدينة الإسلامية تعبر عن إبداع فني راق، وهي أداة اتصال، وبالتالي فهي ليست مجرد ظاهرة جغرافية أو تاريخية فحسب بل هي أولا وقبل كل شيء ظاهرة دينية اتسمت بتعبير وتنظيم مكاني، إذ امتزجت فيها القوانين المادية بالقيم الروحية الإسلامية.

1- نشأة المدينة الإسلامية ومراحل تطوّرها:

كان العرب قبل الإسلام يعيشون حياة يغلب عليها التنقل وعدم الاستقرار، بينما جماعة منهم تشتغل بالتجارة لاسيما اليمن والشام، وبمجيء الإسلام انتقل العرب من أسلوب حياتهم وتقاليدهم القديمة إلى أسلوب جديد جاء به الإسلام؛ وكانت الحضارة الإسلامية سببا في نشوء المدن التي أصبحت مركزا للحياة السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والفكرية، ففيها أقيمت المساجد التي كانت مركزا رئيسيا للمدن الإسلامية بحيث تتوزع حولها الشوارع والأسواق، ضف إلى ذلك أقيمت الأسواق والمتاجر، وأنشئت المدارس، وعقدت مجالس الفكر والأدب والشعر، وكانت أقدم المدن التي أنشأها العرب المسلمون هي البصرة

والكوفة والفسطاط والقيروان، وقد أقيمت في الأساس لأهداف عسكرية على غرار مدينتي القاهرة وبغداد؛ وقد حث الإسلام على عمران الأرض وتعميرها بالخير، وبما ينفع الانسان، وتعمير الأرض هو إحياءها إما بالناء أو بالاستزراع، بمعنى تعمير الصحراء أو الأرض البوار، الأمر الذي هومن مسؤوليات الفرد قادر على ذلك، والمجتمع الذي يهيئ له السبيل إلى ذلك في ظل الشروط البيئية التي تستند إلى مبدأ "لا ضرر ولا ضرار"؛ وقد ارتبطت نشأة المدينة الإسلامية وتطويرها بمعايير حضارية تأثرت إلى حد كبير بتاريخ الدين الإسلامي، فقد بدأت نشأة المدينة الإسلامية من "يثرب" بعد هجرة الرسول "ص" إليها، فعرض له قبائل الأنصار كلهم يدعونه ويعدونه النصر والمنعة، وكان النبي "ص" على نافته والأنصار على يمينه وشماله وخلفه وما يمر بدار إلا قالوا: هلمّ إلى العز والمنعة والثروة، فيقول لهم خيرا ويدعوا ويقول: أنها مأمورة خلوا سبيلها ولما أتت موضع المسجد بركت وهو عليها فأمر أن يحط رحله وأن يكون هذا المكان منزله؛ وكانت يثرب قبل 622 م مجرد مجموعة من مناطق سكنية مستقلة، ولم تتحد هذه المناطق لتشكل مدينة واحدة مترابطة إلا بعد هجرة النبي "ص" من مكة، التي كانت نقطة بداية في تاريخ العمارة الإسلامية، إذ كان لممارسته "ص" مهام القيادة في دولة المدينة، أثر في التركيب الداخلي للعمران المدينة، فاستخدمت وظائف جديدة داخلها، لكي تتلاءم مع كونها عاصمة للدولة الإسلامية الناشئة، ويبدو مع ذلك أن مناطق السكني الأصلية قد ظلت محتفظة بأسمائها كمنازل وبيوت لكل قبيلة، اتخذت فيما بعد أشكال أحياء في المدينة؛ فتحولت إلى "مدينة" بمفهوم حضاري واضح انسحب على تسميتها فأصبحت تسمى "المدينة" فبعد الهجرة حدث تغيير واضح، سعى إلى تحقيقه محمد الرسول "ص" أساسه الدعوة إلى الإسلام، ذلك الدين الذي بدأت في ضوء قيمه وتعاليمه تهيئة المجتمع الإسلامي الجديد لحياة حضارية تلازمت مع اهتمامه بالكيان المادي للمدينة، فأدى ذلك تدريجيا إلى تكامل المراكز العمرانية الإسلامية؛ تقع المدينة الجديدة على طريق التجارة إلى بلاد الشام، وتمتاز بغزارة مياهها وخصوبة تربتها، مما أعطاها خصوصية تجارية وزراعية، كانت نواة التغيير العمراني في تخطيطها ببناء المسجد الجامع في وسطها، وبجواره من الجهة الشرقية بنى منزله، ثم شقت الطرق الرئيسية التي تصل المسجد الجامع بالأحياء، حيث أشارت الروايات التاريخية إلى طريق يمتد من المسجد ويتجه غربا حتى

يصل إلى جبل سلع، وطريق من المسجد يخترق منازل بني عدي بن النجار إلى قباء جنوبا، ومن قباء وجد طريق يتجه شمالا إلى البقيع، سعة كل منها سبعة أذرع، وتتفرع عنها شوارع ثانوية عرضها خمسة أذرع، تفضي إلى شوارع غير نافذة عرضها هي الأخرى ثلاثة أذرع؛ وكان أول ما أمر وشارك في بنائه النبي "ص" هو المسجد، وهو يومئذ مكان يصلي فيه رجال من المسلمين، وكان مربدا لسهل وسهيل، وهما غلامان يتيمان من الأنصار، فسار رسول الله "ص" فيه فقلا الغلامان له: نهبه لك يا رسول الله، فأبى حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير، ونستخلص من ذلك أن أول وظيفة أحياها رسول الله "ص" في المكان هي وظيفة المسجد الذي كان مركزا للصلاة والعبادة، إضافة إلى كونه مركزا سياسيا واجتماعيا وحضاريا، وملتقى علميا، وحوله تبلورت الأنشطة الاقتصادية كلها؛ ومنذ ذلك الوقت أصبحت المنطقة المخصصة للمسجد في قلب المدينة، وكان النبي "ص" يأخذ على عاتقه مهمة توزيع الأراضي وتوطين الناس في المدينة؛ وقد كانت المدينة المنورة في زمن النبي "ص" منظمة إلى أحياء، يقطن كل حي منها أفراد قبيلة أو عشيرة واحدة، وكان للأصول السكانية والقبلية دور كبير في توزيع السكان في أحياء المدينة، بحيث أن كل حي كانت تقطنه أسرة أو قبيلة، وكانت تترك للقبائل أن تقسم بنفسها الاقتطاعات بين أفرادها، وهذا يوضح أن لكل قبيلة أو عشيرة أو حتى الأفراد كانوا يقسمون خططهم تبعا لاحتياجاتهم، وأنه ليس بالضرورة أن تكون كل خطط المدينة قد بنيت خلال الفترة المبكرة؛ ولقد اتخذت منازل القبائل والعشائر الوافدة حديثا إلى المدينة على ما يبدو طابع التكتل بحيث يتجمع أفراد القبيلة معا في منطقة واحدة، وينطبق ذلك حتى على المهاجرين الأوائل الذين سكنوا حول مسجد النبي "ص"، مكونين مجاورة سكنية واحدة أو أكثر، وعلى مدى العشر سنوات التالية التي قضاها النبي "ص" في المدينة المنورة نمت المدينة نموا كبيرا، لكنها مع ذلك استمرت محتفظة بتنظيم أحيائها القبلي في إطار رقعتها المكانية، وقد احتوت كل خطة للمدينة على مسجد جامع، علما أن في المدينة تسعة مساجد بإضافة مسجد النبي "ص"، كما وجدت بالمدينة أسواق والتي تعددت أمثلتها، بحيث يوجد أربعة أسواق بالمدينة في الجاهلية، منها سوق المدينة الذي اختاره النبي "ص": "هذا سوقكم، فلا يضيق، ولا يؤخذ فيه خراج"، وقد ظل على حاله دون مباني، إلى غاية عهد معاوية بن أبي سفيان 41 هـ-60 هـ الذي قام

ببناء مباني في السوق؛ كما حرص النبي "ص" على تحصين المدينة من الجهة الشمالية، وذلك بعد أن استشار رسول الله "ص" أصحابه برأي سلمان الفارسي، الذي أشار عليه باتخاذ الخندق، وقد تم حفر هذا الأخير على طول 1200 ذراع، وشارك في حفره ثلاثة آلاف مسلم، واستكمالا لأعمال التحصين فقد حصنت جدران المنازل القريبة من الخندق، والتي بينها وبين العدو مسافة قصيرة، واتخذ المعسكرات لجنده خارج المدينة، على مسافة منها، وهي معسكر الجرف ومعسكر أسامة بن زيد؛ وسن الرسول "ص" إنشاء مقار للعلاج فقرر بعد رجوعه من غزوة الخندق وضع خيمة في المسجد للتداوي، وتأسى الحكام وأهل البر والخير بهذه السنة وسعوا إلى إنشاء البيمارستانات التي توفر العلاج لأهل المدينة والقادمين إليها، وأوقفوا عليها الكثير من الأموال والعقارات.

2- شروط اختيار مواقع المدن والظروف المتحكمة في انتشار العمران الإسلامي:

2-1- شروط اختيار مواقع المدن الإسلامية:

شكل الفكر الإسلامي المرجع الأساسي لتخطيط المدينة الإسلامية التي تم تأسيسها خلال فترات متلاحقة، مع توسع رقعة الخلافة الإسلامية، فكثر المدن وتوسعت وازدهرت بتوسع وازدهار الحضارة الإسلامية التي امتدت لقرون عديدة من أواسط آسيا شرقا إلى الأندلس غربا ومن بلاد البلقان شمالا إلى أواسط إفريقيا جنوبا لتشمل ثلث مساحة العالم القديم تقريبا؛ لقد حرص الإنسان منذ القدم على الاستقرار في الأماكن والمواضع التي تتوفر فيها مجموعة من الشروط التي تعد ضرورية لحياته، كما أولى الاختصاص شروط قيام المدن التي لابد للحكام والسلاطين الأخذ بها عند اختيار أماكن ومواقع بناء المدن للاستقرار؛ ويعد ابن الربيع 218هـ-272هـ من طلائع العلماء المسلمين من كتب في شروط اختيار مواقع المدن وشروط تخطيط مواضعها، وهي مجموعة من المبادئ التخطيطية التي استخلصها من وصايا الرسول "ص" وخلفائه الراشدين أثناء بنائهم المدينة المنورة، هذه الشروط ذكرها ابن أبي الربيع في الفصل الرابع من مخطوطه في قسم السياسات وأحكامها تحت الركن الرابع من أركان المملكة وهو التدبير، هذه هي الشروط التي يجب أن يراعيها الحاكم وتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شروط اختيار مواقع إنشاء المدن وهي ستة تتمثل في:

1-سعة المياه المستعذبة.

2-إمكانية الميرة المستمدة.

3-اعتدال المكان وجودة الهواء.

4-القرب من المراعي والاحتطاب.

5-تحصين المنازل من الأعداء والدعار.

6-أن يحيط بها سواد يعني القيام بوظيفة حراسة الراعية وممتلكاتها.

القسم الثاني: شروط تخطيط المدن وهي ثمانية شروط تتمثل في:

1- أن يسوق إليها الماء العذب ليشرب حتى يسهل تناوله من غير عسف.

2- أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق.

3- أن يبنى فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها.

4- أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها ولينال سكانها حوائهم من قرب.

5- أن يميز قبائل سكانها بأن لا يجمع أضداد مختلفة متباينة.

6- إن أراد سكانها فليسكن أفسح أطرافها وان يجمع خواصه كنفا من سائر جهاته.

7- أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة.

8- أن ينتقل إليها أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها حتى يكتفوا بهم ويستغنوا الخروج لغيرها.

-أما الموارديي الذي جاء بعد ابن الربيع بحوالي قرن من الزمان فقد انتقل إلى مرحلة جديدة في تاريخ التمدن والتخطيط الحضري، حيث صنف وظائف المدن وميز بينها حسب كل

وظيفة، فتكلم عن تركيبتها الداخلية، وشروط اختيار مواقعها ومميزاتها بصورة تتلاءم مع الأحوال الاجتماعية والاقتصادية السائدة آنذاك، ويضع الموارديي ستة شروط لإنشاء الأمصار وهي:

1- سعة المياه المستعدبة.

2- إمكان الميرة المستمدة.

3- اعتدال المكان الموافق لصحة الهوى والتربة.

4- قربه مما تدعو الحاجة إليه من المراعي والأحطاب.

5- تحصين منازله من الأعداء والزعار.

6- أن يحيط به سواد يعين أهله بمواده.

فإذا اكتملت هذه الشروط الستة في إنشاء الأمصار استحكمت قواعد تأييده، ولم يزل إلا بقضاء محتوم، وأجل محتوم، كما يضيف الموارديي ثمانية شروط أخرى يعتبرها حق لساكنة المصر على حاكمها يستوجب توفرها حتى يؤدي حق مستوطنيه وهي:

1- أن يسوق إليه الماء السارية إن بعدت أطرافه، إما في أنهار جارية أو في حياض سائلة، ليسهل الوقوف إليه من غير تعسف.

2- تقدير طرقه وشوارعه حتى تتناسب ولا تضيق بأهلها فيستنصر المار بها.

3- أن يبنى جامعا للصلوات في وسطه ليقرب على جميع أهله، ويعم شوارعه بمساجده.

4- أن يقدر أسواقه بحسب كفايته.

5- أن يميز خطط أهله وقبائل ساكينه ولا يجمع بين أضداد متنافرين ولا بين أجناس مختلفين.

6- إن أراد الملك أن يستوطنه سكن فيه في أفسح أطرافه، وأطاف به جميع خواصه، ومن يكفيه من أمر أجناده، وفرق باقييهم في بقية أطرافه، ليكفوه من جميع جهاته، وخص أهله بالعدل.

7- أن يحوطهم بسور إن تاخموا عدوا، أو خافوا اغتيالا، حتى لا يدخل عليهم إلا من أراده، ولا يخرج عنهم إلا من عرفوه، لأنه دار لساكنيه وحرز لمستوطنيه.

8- أن ينقل إليه من أعمال أهل العلوم والبضائع ما يحتاج أهله إليه، حتى يكتفوا بهم، ويستغنوا غيرهم.

-أما ابن خلدون فقد قدم لنا أفكار متطورة مستفيدا من التجارب السابقة، فالمدينة التي تخططها الدولة لا يمكن أن تزدهر ما لم تستجمع بعض الشروط التي تضمن البقاء والاستقرار، ولتحقيق ذلك يضع ابن خلدون مجموعة من الشروط تستجيب لغاية قصوى تتمثل في دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع والمرافق ما يعني أنه يجب مراعاة فيها كل الأمور ويمكننا حصر المنافع في عناصر الماء والمرعى والمزارع والمحطب والقرب من البحر؛ ويقسم ابن خلدون شروطه إلى صنفين الصنف الأول يكمن في شروط تتعلق بالأرض التي تقام فيها المدينة، والصنف الثاني تتعلق بالشروط السماوية.

- أما ابن الأزرق فقد فصل لما تحدث عنه ابن خلدون فيشير إلى أنه ما يجب مراعاته في أوضاع المدن أصلان مهمان: دفع المضار وجلب المنافع، بحيث أكد أن المضار نوعان وهما المضار الأرضية والمضار السماوية.

- أما ابن أبي زرع حصر شروط إقامة المدن في خمسة وهي: -النهر الجاري - المحرث الطيب - المحطب القريب - السور الحصين - السلطان إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبابرتها.

2-2- الظروف المتحكمة في انتشار العمران الإسلامي:

أدت الفتوحات الاسلامية إلى فتح بلاد شاسعة فجددت كثير مدن الشام ومصر وبلاد المغرب التي كانت قد تدهورت، كما أنشئت الكثير من المدن الجديدة في المناطق التي تم فتحها في إفريقيا، ولم يقتصر دور المسلمين على إعادة الحياة إلى المدن الرومانية بل كثفوها وأضافوا إليها، كاختيار نمط جديد من المواقع المفضلة، ليصلوا بأحجامها إلى مستويات ربما لم تصل إليها المدينة من قبل، وقد تعددت الدوافع التي ساهمت على بناء

المدن في البلاد المفتوحة، خاصة في شبه الجزيرة العربية، وبلاد الحجاز، ومصر وبلاد المغرب، والتي يمكن حصرها فيما يلي:

2-2-1- العامل الطبيعي:

يفرق جغرافيو المدن بين مصطلحي الموضع والموقع، فالأول يعني الصفات الطبيعية للمكان الذي تمثله المدينة من حدودها، وهي التي تكون عونا لها لتبقى وتستمر، كالأنهار التي نجدها عامل جدب للمدن، لذلك نرى المدن التي نشأت وتطورت على شواطئ دجلة والفرات، كما نشأت أيضا على ضفاف النيل منذ القدم، إلى غاية مطلع العصر الإسلامي حيث الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، ويعني المصطلح الثاني جميع الارتباطات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية بين المدينة والمناطق المحيطة بها، وعلى هذا الأساس فإن المدينة الإسلامية تمثل مواقع متباينة نتيجة لتأثرها بعوامل وضوابط طبيعية واجتماعية واقتصادية وتاريخية متداخلة، ولا شك فإن للعوامل الجغرافية كالموضع والموقع مكانة مميزة بين العوامل التي تحقق صلاحية المدينة للبقاء؛ ويتحدد العامل الطبيعي باختيار المواقع المفضلة ذات المناخ الحسن والقريبة من الماء والمحتطب، وهذا ما حدث بالفعل في انتقاء مواضع كل من الكوفة والموصل وواسط وبغداد وسامراء، وكانت البصرة حسنة الموضع لما يتطلبه الوضع العسكري في ذلك الوقت؛ كما كان ولاة وأمراء الدولة الاسلامية يختارون المواقع المخصصة لبناء مدنهم بعناية، واضعين في الدرجة الأولى الشروط البيئية والجغرافية كالتضاريس والمناخ وطبيعة المياه والسهول، ويلاحظ بجلاء أن العوامل الطبيعية قد ظهرت في المدن الإسلامية على الروابي(الأرض المرتفعة) وضفاف الأنهار وامتدت آثارها في أثناء نمو تلك المدن عموديا أو أفقيا، كما ساهم المناخ كعامل طبيعي في تطور المدن ونموها، بما لا يقل دور مجاري المياه، فقد حرص الخلفاء والأمراء المسلمون على أن تكون مدنهم منشأة في مواضع صحية خالية من الحشرات، وأن تكون مناظرها مما ترتاح له النفس، مما أدى إلى تتابع الهجرات والاستيطان فيها باستمرار.

2-2-2- العامل السياسي:

كان العامل السياسي وراء ازدهار أكثر من مدينة، فكل أسرة حاكمة لها أصولها القبلية التي ترتبط بها فتحاول بناء عاصمة جديدة لها يتجمع بها أشياعها، فقد نقل الخليفة

علي بن أبي طالب عاصمة الخلافة الإسلامية إلى الكوفة لكثرة أشياعه فيها، ثم كان لنجاح معاوية بن أبي سفيان في تأسيس الخلافة الأموية أن حرمت الكوفة من مكانتها السياسية، في مقابل ذلك أخذت دمشق مكانتها، حيث أتباعه في الشام التي قضى خمسا وعشرين سنة واليا عليها، كما أقيمت العاصمة المصرية في الفسطاط ثم نقلت إلى العسكر في عهد الخلافة العباسية، ثم إلى مدينة الطلائع في عهد الطولونيين، ثم انتهت إلى مدينة القاهرة في عهد الخلافة الفاطمية، وكان نقل العاصمة دائما مع تغير الولاة، وقد كان لهذا التركيز للأشياع في المدينة التي تتخذ عاصمة للحاكم الجديد، أن نشأت مدن تشبه ما عرف فيما بعد باسم مدن البلاط في أوروبا، فلقد تجمع أتباع المعتصم من القواد الأتراك في سامراء، كما تجمع أشياع إدريس الثاني الذين قدموا من القيروان، ومن ضواحي قرطبة، وكثيرا ما كانت المدينة تحمل اسم الخليفة كالمهدية والمستنصرية والمتوكلية؛ ففي أيام الخلفاء الراشدين والأمويين نشأت وتوسعت مدنا كثيرة في أثناء حركة الفتوحات الإسلامية، فأصبحت عدة مدن مركزا للفتوح والإدارة واضحة الشخصية قابلة للسكن والزراعة، وذات سيادة سياسية، وفي أيام العباسيين تبلورت فكرة المدينة السياسية؛ فقد صاحب التطورات السياسية عند قيام دولة بني العباس، محاولات ناجحة لتنظيم مراكز إدارية جديدة، وذلك لحماية مصالح الدولة السياسية من الأخطار الداخلية والخارجية، ولتأمين هذه المصالح أنشأ العباسيون مدن استراتيجية هي هاشمية الكوفة، والأنبار وبغداد وسامراء والمتوكلة لتجميع الأنصار والأشياع، وتعمل خدمة الوظيفة السياسية بأحسن وجه، كما لعب العامل السياسي دور جوهري في مسألة نشأة المدن لأغراض سياسية بمصر، فنشأة العسكر لتكون مركزا إداريا للحكومة الجدية بدلا من الفسطاط، كما أبدل ابن طولون العسكر بالقطائع حينما استقل بالولاية عن السلطة العباسية، في حين أنشأ الفاطميون لنفس الغرض القاهرة عند دخولهم مصر لتكون عاصمة سياسية لهم.

2-2-3- العامل العسكري:

كان من الضروريات أن ينشئ المسلمون في البلاد المفتوحة مراكز عسكرية تكون مقرا لجند المسلمين، وقد كانت البداية في شكل مخيمات عسكرية غير مستقرة بهدف توفير أماكن لإقامة الجند ومدادهم بالعتاد، ثم تحولت هذه المعسكرات إلى مدن إسلامية في البلاد

المفتوحة ذات طبيعة حربية، بل كثيرا ما شيدت كمعسكرا للجند، ومن أمثلة المدن التي أقيمت للغرض العسكري بمعني المعسكرات التي تحولت إلى مدن وحواضر كمدينتي الفسطاط والكوفة؛ ونجد في مقدمة المدن التي كان وراء إنشائها هدف عسكري في بلاد المغرب الإسلامي مدينة القيروان بحيث أسست في البداية كقاعدة عسكرية لإقامة وإيواء الجند، ثم تم إسكانها لاحقا بالسكان البربر والعرب؛ وعادة ما تخضع المدن ذات الطابع العسكري إلى عدة اعتبارات من خلال اختيار المواضع ذات الخاصية الدفاعية، خاصة منها التي تكون على قمم الجبال، أو التلال أو على سفوح الجبلية أو على ضفاف الأنهار على موقع معين يسهل اختياره، وعليه فقد كانت وفقا لهذه القواعد معظم المدن ببلاد المغرب الإسلامي داخلية حتى لا تكون عرضة للهجومات من البحر، كما وجد الفاتحين من الضروري أن تكون المواضع المختارة لإقامة مدن جندهم في الصحاري حتى تكون مستعصية عن الأعداء، كما خضعت المدن العسكرية إلى اعتبارات في تخطيطها وبنائها بما يتوافق ووظيفتها الدفاعية، خاصة ما تعلق بالسور المحيط بها، وتزويدها بالخنادق، وأبراج المراقبة وتحصين أبوابها.

2-2-4- العامل الاقتصادي:

يعد هذا العامل الاقتصادي من أبرز العوامل التي ساهمت في نشأة وتطور المدينة الإسلامية، والتي يراعى فيها اختيار موقعها الملائمة لظروف النشاط الاقتصادي بكل مكوناته، فالعالم الإسلامي بحكم موقعه المتوسط في العالم القديم مَثَّلَ مرحلة انتقالية بين أقاليم جغرافية مختلفة، وملتقى للطرق التجارية التي تربط بين حضارات الشرق والغرب، فكانت مكة تقع في منتصف الطريق بين اليمن والشام، وترتكز مصالحها على تأمين الطرق التي تمر فيها ثروتها، فقامت حفظا للسلام بعقد سلسلة من المحالفات بين بدو الصحراء وعشائر المدن، وأنشأ مدنا جديدة إما للتحكم في طرق التجارة الممتدة من الصين إلى إسبانيا، أو لتكون بمثابة مراحل للاستراحة فيها؛ وكان تأثير العامل الاقتصادي أيضا واضحا في تطور عدة مدن، كما هو الحال في مدينة الكوفة، وواسط وبغداد، وفي الحين كانت المهن والنشاط التجاري أثر كبير في نشأة وإقامة عديد من الأسواق والمحلات الحرفية والتجارية في داخل المدن وخارجها، مثل أسواق ومحلات بغداد والبصرة وسامراء، وبفضل

هذا العامل توسعت شبكة المسالك التجارية البرية أولا ثم البحرية فيما بعد؛ وقد توجت العلاقة العضوية بين تطور التجارة ونشر الإسلام بظهور تجمعات سكانية في مختلف مراكز التجارة الناشئة على مد المسالك الرابطة بين الصحراء جنوبا وموانئ البحر المتوسط شمالا من جهة، وبين الصحراء والمشرق الإسلامي من جهة أخرى، وعليه فقد كان للتجارة الإسلامية دور مهم في إرساء قواعد مدن كثيرة.

2-2-5- العامل الديني:

بين الدين والمدن علاقة قديمة، فالدين بطبيعته عملية جماعية، تؤدي في مراكز أو منشآت أنشأت لهذا الغرض، فقد كان للدين الإسلامي عاملا مهما في تحويل طبيعة الكثير من المدن لوظيفة دينية، وقد كان المسجد الجامع أول بناء يقام في المدينة الإسلامية بحيث أصبح رمز للزعامة الروحية للدولة الإسلامية.

فالمدن الإسلامية تنشأ في الأغلب حول نواة صغيرة هي في الأصل صنم أو حجر مقدس أو ضريح أو قبر، وهذه النواة تكون أول مظهر لنشأة المدينة، فعندها تولد التجارة والصناعة، وعندها ينشأ أول سوق للمدينة ثم تنمو تدريجيا، على غرار ما وجد في العراق مثلا أضرحة مقدسة وهي نواة لمدن كبيرة منها كربلاء والنجف والكاظمية وغيرها.

3- خصائص تخطيط المدينة الإسلامية:

إن المدينة الإسلامية بمثابة حلقة وصل بين العاصمة الأولى وبين البلاد المفتوحة فعن طريقها ترسل النجدات وتستقبل الأوامر منها البلاد المفتوحة، كما تعد ملجأ لأفراد الجيش المرابط في هذه المناطق ومستشفى لجرحاهم هذا من جانب ومن جانب آخر، المدينة الإسلامية بمثابة مراكز تموينية لأفراد الجيش المحارب في الجبهات القريبة والبعيدة من كل مركز، ما يجعلها تتميز بمجموعة من الخصائص وهي:

- التهيئة العمرانية للمدن الإسلامية على غرار المدينة المنورة وبغداد وفاس والقيروان ومراكش وحتى الآثار الإسلامية في غرناطة، كانت ذات منظومة قانونية مؤطرة لها، وقد واكبت تطور المجتمعات الحضرية الإسلامية على مدى التاريخ بالتقنين والتنظيم.

- كانت المدن الإسلامية خاضعة في كلياتها وجزئياتها لأحكام فقهية سواء منها المنصوص عليه أو الاجتهادية منها والتي كانت في تجدد مستمر حسب التطور المجتمعي.
- التهيئة العمرانية للمدينة الإسلامية يجب أن تكون سعة طرقها ذات حجم لا بأس به أي عدم ضيقة، وقد حدد الفقهاء ثلاثة أنواع من الطرق وحددوا مقادير سعتها وهي:

–طريق الأقدام وعرضها 7 أذرع

– طريق المواشي والأبقار وعرضها 20 ذراعا.

– طريق المخدع عرضها 4 أذرع.

- المحافظة على حريم وأفنية الدور والطرقات بما فيها من حدائق وجنان ومياه في المدينة الإسلامية.
- احتلت المساجد أماكن محترمة وسط الحواضر أو المدن مثلت الرمزية الدينية والروحية لها.
- تخطيط المدن الإسلامية خاضعة في تصاميمها للمبادئ حفظ الخصوصيات واحترام الحياة الشخصية.
- ينفرد مخطط المدينة الإسلامية بالبساطة والبعد عن الأشكال الهندسية الجامدة.
- تتجلى المدينة الإسلامية بمظهرها العام بتكامل مكوناتها في كيان عضوي موحد.
- جعل المدينة الإسلامية تستجيب للظروف المناخية السائدة في أية منطقة من مناطق.

4– أنماط المدن الإسلامية المبكّرة:

4–1– أنماط المدن الإسلامية:

ولابد الإشارة هنا إلى أن الأصول الوظيفية الأولى التي من أجلها وجدت المدن، قد أصابتها عدة تحولات في فترات تاريخية مختلفة فرضتها ظروف تلك الفترات، فلم تعد المدن العسكرية الإسلامية الأولى تحتفظ بهذه الوظيفة لانتقاء الحاجة إليها، لذلك فقد عوضت عنها بوظائف أخرى اعتمدت عليها تلك المدن ببقائها وتطورها، وعليه فقد صنف أهل الاختصاص المدن الإسلامية وفقا للوظائف التي كانت تؤديها كما يلي:

4-1-1- المدن المعسكرات:

مدن المعسكرات هي مستنبطة من كلمة عسكرة أي الشدة، والعسكر هو مجمع الجيش أو المكان المخصص لإقامة أفراد الجيش، وتندرج تحتها أربعة أسماء وهي: الثغور، الرابطات العواصم والعسكر، فالثغور هي المدن الحصينة التي أنشئت على حدود الدولة الإسلامية ومنها ما هو على السواحل، وكانت تسمى في مصر المواخير؛ ويعرف هذا النوع من هذه المدن بالمدينة المحصنة أو الرباط ومثل هذه المدن تم تأسيسها كقلاع على الحدود أو داخل البلاد، وذلك لتأكيد نفوذ دار الإسلام وحماية حدودها، وقد نمت هذه القلاع التي كانت في الأصل مواقع عسكرية أو حاميات واقعة على الحدود، وبرزت إلى حيز الوجود كمدن محصنة وصارت مدنا هامة جدا مثل الرباط في المغرب والمنستير في تونس؛ وهي كذلك نتاج دخول أقاليم شاسعة تحت لواء الفتح الإسلامي، والتي امتدت من نهر الهندوس شرقا إلى نهر تاج في إسبانيا غربا، ومن بحر أورال شمالا إلى إقليم بلاد النوبة جنوبا، وكلها مناطق تتباين إلى حد ما مع طبيعة العرب، وقد خلف هذا الوضع الجديد من الأمصار المفتوحة اختلافا بين المراكز الجديدة التي أنشئوها كالبصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر والقيروان في تونس، لتكون دور هجرة لهم ولأسرهم وعيالهم، وهي مدن إسلامية أساسا ذات نمط عسكري وديني خالص، وبين مدن قديمة عامرة ذات تراث محلي وخارجي، اتخذوا فيها مراكز لقواتهم مثل أجناد الشام وفلسطين، ويبدو هنا أن هذه المعسكرات التي أوجدتها الجيوش الفاتحة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب قد كانت طلائع المدن الإسلامية في العراق وغيره من المناطق، حيث أسس المسلمين ست أمصار ثلاثة في العراق وهي البصرة والكوفة والموصل، وأصبحت هذه الأمصار قواعد عسكرية وظائفها الأساسية هي إيواء المجاهدين، بالإضافة إلى أنهم اتخذوها خطا مفتوحا، يؤمن وجعتهم في حالة تعرضهم للخطر، يحتمون بها عندما يضايقهم العدو، كما أنها مراكز تموينية للجيوش التي تحارب في الجبهات الحربية؛ ومن الأمثلة التي عن المدن التي أنشئت للغرض الدفاعي تلك المستعمرات التي تحولت إلى مدن كبرى وحواضر الكوفة والفسطاط، وفي بلاد المغرب الإسلامي نجد مدينة القيروان التي جعلها عقبة بن نافع قاعدة عسكرية لانطلاق الجيوش في أي فتوحات عسكرية قادمة، كما جعلت مركزا لإمداد الجيش بمختلف المؤن، وقد انعكست

الطبيعة العسكرية لعديد المدن إلى اقتران أسمائها بمصطلح العسكر و الرباط والتي من بينها في بلاد المغرب الإسلامي عسكر القرويين؛ ومما يجب الإشارة إليه هو أن قادة قد اخذوا بعين الاعتبار ترميم وإصلاح بعض المعسكرات القديمة الساسانية والبيزنطية، وصيروها لأغراضهم العسكرية فمنها معسكر الرزق في البصرة والموصل وعين النمر، والمدائن التي اتخذها المعتصم في العصر العباسي الأول معسكرات لجيوشه، أن بعض منها نمت وحافظت على عمرانها وأصبحت مدنا مأهولة بالسكان تحولت بسرعة إلى مراكز حضرية.

4-1-2- المدن العواصم "الإدارية":

يعني مصطلح عاصمة في اللغة المانع والحامي من عصمة وعاصم، وهي تدل على مدينة ذات عدد كبير من السكان، وهي مركز السلطة ولها محاكم قضائية وحاكم مقيم فيها، وكانت في البداية صفة الدفاع والحماية، ومع استقرار الحياة المدنية في مدن الأمصار تراجعت الروح العسكرية تدريجيا، ولا سيما بعد توقف الفتوحات، وظهر هذا التحول في النواحي الفكرية، فأخذت المبادئ والقيم الإسلامية تتغلغل بالتدريج، وظهر ذلك في محاولة المشتغلين بالفقه والحديث في بث المفاهيم الإسلامية، كما يمكن إدراج إنشاء المدن العواصم كتعبير عن الرفاهية والازدهار الذي تتمتع به الدول، ويتجلى ذلك من خلال بناء القصور الفخمة؛ وهي نتاج ازدياد النفوذ السياسي وقد أرادها الحكام تعبيرا عن السلطة السياسية للدولة، وذلك بتأسيس عاصمة جديدة خاصة بها، ومن أمثلة ذلك مدينة بغداد التي أسسها العباسيون في القرن 2هـ/8م، ومدينة فاس التي أسسها الأدارسة في سنة 193هـ/808م، ومدينة مراكش التي أسسها المرابطون في القرن 5هـ/11م، ومدينة المنصورة التي أسسها المرينيون في القرن 8هـ/14م، ويمكن أن تشمل هذه الفئة مدنا أخرى مثل تلك التي أسسها حكام وفضلوا نقل إقامتهم من عواصمهم التقليدية، ومن أمثلتها مدينة سامراء، التي بناها المعتصم حيث انتقل من بغداد في 3هـ/9م، ومدينة رقادة وهي عاصمة الأغالبة وقد أسسوها خلال القرن 3هـ/9م لتحل محل مدينة العباسية التي شيدت قبلها بعدة سنوات، ومنها من المدن التي اتخذت لأغراض إدارية كمدينة واسط، التي أنشأت بعد ثورة ابن الأشعث ما بين 83هـ - 84هـ فكانت ثمرة لإدارة السلطة الأموية في بلاد العراق؛ كما تحولت كل من مدينتي البصرة والكوفة في فترة لاحقة من تأسيسهما إلى الإشراف على الشؤون الإدارية في

العراق، وما جاوره شرقا وشمالا من الأقاليم المفتوحة، باعتبارهما مصرين أنشأهما المسلمين الفاتحين لأغراض الإدارة والفتح، فكانت البصرة مقابل الأبلة في جنوبه ولاية تدير شؤون العراق أو ما ارتبط به من أقاليم البحرين وأقاليم بلاد فارس، في حين تدير ولاية الكوفة في وسطه قرب الحيرة، وحديثة الفرات قرب الأنبار الإقليم الأوسط من العراق، وما اتصل به إداريا من إقليم الجزيرة في شمال غرب العراق وأقاليم أرمينية وأذبيجان وبلاد الجبل والمراكز الأخرى كالمدائن والأنبار وميسان.

4-1-3- المدن الدينية المقدسة:

المدن الدينية المقدسة هي المدن التي تأسست حول مكان أو رمز مقدس أو ضريح ذو قيمة روحية معينة، وقد تمثلت فيها جميع خصائص المدينة الإسلامية، وترجمت تخطيطها في هيكل عمراني مميز، ومن أمثلتها مكة المكرمة التي قامت في موضع بواد غير ذي زرع، ويرجع ازدهار هذه المدينة إلى قيمة الموضع وقد أوجدت المراقد المقدسة كمدافن الأئمة والعلماء نواة لمدن دينية، فقد ارتبط ظهور وتطور مدينة النجف بضريح الإمام علي كرم الله وجهه، نزل بها خلال الفتح الإسلامي القائد خالد بن الوليد لفتح الحيرة، وبالقرب منها دارت معركة القادسية سنة 16 هـ، وهي المعركة الفاصلة في تاريخ فتوحات إسلامية، ولما قتل الإمام علي متأثرا بجراحه، وقام أولاده بدفنه في النجف واخفوا معالم قبره خوفا من عبث السلطات الأموية به، حتى عهد الخليفة هارون الرشيد الذي شيد أول قبر على جثمانه، ومنذ ذلك الوقت بدأ الناس يدفنون موتاهم بذلك المكان تبركا بمقام سيدنا علي كرم الله وجهه، فأصبح الموضع قطب جذب بشري، فهاجرت إليه جماعات إسلامية وأخرى علوية، فنشأ من تواجدهم مستوطن صغير حول الضريح أيام هارون الرشيد والمأمون؛ إلا أن المتوكل منع الزيارة والسكن وفي عام 247 هـ هدم الضريح والمنازل والدور، غير أن ابنه المنتصر قد أمر الناس بزيارة القبر الذي أعاد بناءه، فأخذ العلويون والشيعة يتوافدون عليه، وفي العهد العباسي الأخير 550هـ - 656 هـ اعتنى الخليفة الناصر بدين الله العباسي مدينة النجف، إلا أن تطور النجف عمرانيا كان في نهاية القرن السابع والثامن الهجري، وبمرور الزمن أصبحت النجف من أمهات المدن الإسلامية، وذلك لطابعها الديني والثقافي المميز؛ كما نالت مدينة كربلاء طابعا مقدسا مع بداية العهد الدولة العباسية، ويبدو أن بعد

العاشر من محرم سنة 21 هـ بعد استشهاد الحسين بن علي ودفنه بها ذاع صيتها، فأخذ الناس يتوافدون على زيارة قبر الحسين، كما أخذ بعضهم يستوطنها أو يوصي بدفنه بها، وعلى الرغم من معاضة بعض الخلفاء العباسيين كالرشيد والمتوكل، فإن كربلاء تطورت في عهد المنتصر فأعاد بناء القبر وسمح للعلويين والشيعة بزيارته والسكن بجواره، ولم يمض قرن حتى تحول المكان إلى مدينة؛ وارتبطت مدينة الكاظمية في نشأتها بالمشهد الكاظمي الذي اشتهر بمشهد باب التين، وكانت تنتشر بها قبل الإسلام الأديرة المسيحية، وبعد انتهاء جعفر المنصور من بناء مدينة بغداد عام 149 هـ اقطع مقبرتي الشوينزي المجاورة لمدينة بغداد من الشمال فجعلها مقبرة سماها بقريش، واول من دفن فيها جعفر ابن الخليفة المنصور سنة 150 هـ، وفي سنة 186 هـ دفن فيها الإمام أبو يوسف تلميذ الإمام أبو حنيفة، وفي سنة 183 هـ دفن فيها الإمام موسى الكاظم، وهو سابع أئمة الشيعة الأمامية، إلى جوار قبر جده موسى الكاظم، ومنذ ذلك التاريخ أصبح قبر الإمامين مزارا لطائفة الشيعة، ومكانا يجتمع فيه المحبون لآل علي في الزيارات التي تعقد في العشرة الأولى من شهر محرم، إلى غاية مجيء البويهيين الذين أقاموا ضريحا على قبري الإمامين، فبدأت الهجرة العلوية والشيعية نحوه، ليتحول اسمها إلى الكاظمية نسبة إلى افمام موسى الكاظم.

4-1-4- المدن التجارية:

ميزتها الرئيسية هي وقوعها على مفترق الطرق، مما يجعلها معبرا ومقصدا للقوافل التجارية التي تجعل منها مركزا لتبادل سلعها، ومن بينها مدينة الكوفة التي كان لوقعها على مفترق الطرق أن يكسبها خاصية المدن التجارية، لأنه موقعها يكفل لها تموينها ويسهل عملية الاتصال بينها وبين أنحاء الخلافة الإسلامية ويشجع التجارة بها؛ ومن المدن التي اكتسبت الصبغة الاقتصادية نجد مدينة واسط التي أقيمت عند ملتقى عدة طرق برية ونهرية، ما منح المدينة أهمية تجارية عظيمة منذ نشأتها لوقوعها على ضفة نهر دجلة من جهة وتوسطها بين الكوفة والبصرة والمدائن والأحواز من جهة أخرى، وقد ساهمت واسط بموقعها هذا في تنشيط الحركة التجارية وتبادل السلع في أنحاء مختلفة من بلاد العراق، وبالتالي عم الرخاء مدينة واسط فقدم إليها الناس من كل حدب وصوب، فازداد سكانها وكثر عمرانها؛ ويشكل موقع مدينة الموصل كذلك عقدة لشبكة من الطرق البرية والنهرية، تلتقي عندها،

فهي مدرجة للجبل ومسلك للصحراء والسهل، مشرعة لشحن موارد الجبل والسهل، فتتحدر هذه على صفحة دجلة لمدن سهل العراق وبخاصة بغداد، فالموصل كالبصرة مأوى كل تاجر وطريق كل عابر.

4-2- المدن الإسلامية المبكرة:

4-2-1- مدينة البصرة:

تأسست مدينة البصرة سنة 15هـ على يد عتبة بن غزوان أيام الخليفة عمر بن الخطاب، وبنيت البصرة معسكرا للمسلمين، ثم تطورت في هيكلها العمراني والمعماري على يد أبو موسى الأشعري فبنى المسجد ودار الإمارة، وحفر المياه لتزويدها به؛ بعدها جاء عبد الله بن عامر وشجع العمران ومنح الاقطاعات واتخذ الأسواق ما جعل مدينة البصرة تأخذ المركز الإداري هذا من جانب ومن جانب آخر، جاء زياد بن أبية وعمل على إعادة تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها السكنية وعمل على تشجيع إنشاء وحدات معمارية وأسس الأسواق، ومن هذه الاصلاحات تحولت من مجرد معسكر إلى مدينة.

4-2-2- مدينة الكوفة:

تأسست مدينة الكوفة سنة 17هـ على يد بن أبي وقاص حيث كانت عبارة عن معسكر حربي بعد إذن الخليفة الفاروق، ووفق توجيهاته التخطيطية حددت الشوارع الرئيسية والفرعية والأزقة واتخذت الخطط وبني المسجد والسوق ودار الإمارة.

4-2-3- مدينة الفسطاط:

تأسست سنة 21هـ على يد عمرو بن العاص الذي أمره الفاروق أن يبني مدينة لا يفصلها عنه ماء، حيث بني المسجد وحددت الشوارع الرئيسية والفرعية والأزقة.

4-2-4- مدينة واسط:

بناها الحجاج الذي شرع في عمارتها سنة 84هـ وفرغ منها سنة 86هـ، وتقع المدينة على بعد 40 فرسخا من البصرة والكوفة والمدائن والأهواز، اشترى موضع من أحد الدهاقين، فبنى بها قصرا ومسجدا وسط المدينة دلالة على اتخاذ القصور الفخمة كمراكز إدارية وخندقين وسورا، وأنزل أصحاب الحرف والصناع إلى المدينة.

5- قائمة المراجع المعتمدة في المحور الثاني:

- بن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 1996م.
- المقدسي محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
- الماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م.
- الماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق رضوان السيد، بيروت.
- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م.
- خالد محمد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة سلسلة دورية، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، العدد: 58، ربيع الأول 1418هـ.
- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.
- فواز عاند جاسم، جوانب من بنية المدينة العربية الاسلامية ودواعي توثيقها، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد1، 2011م.
- جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1992م.
- ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت.
- محمد محمود كالو، فلسفة العمران الحضاري من منظور حضاري، العدد الأول، مجلة مقاربات، المجلس الإسلامي السوري، 2017م.
- السيد الحسيني، المدينة في علم الاجتماع الحضري، ط3، دار المعارف، مصر، 1985م.
- محمد عابدين، الفكر التنموي في مقدمة ابن خلدون، ع1، مجلة جامعة دمشق، 2009م.
- عبد الباقي إبراهيم، الخصائص العمرانية للمدينة الإسلامية، منظمة العواصم الإسلامية، القاهرة، 1991م.
- صالح بن علي الهذلول، المدينة العربية الإسلامية، أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، ط1، دار السهن، السعودية، 1994م.

- خضر طه عبيد، المدينة الإسلامية تاريخها وتخطيطها وعوامل ازدهارها وانحطاطها، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2013م.
- عزب خالد محمد مصطفى، فقه العمارة الإسلامية، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1997م.
- جعيط هشام، الكوفة نشأة المدينة الإسلامية، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1986م.
- الكناني كامل، تخطيط المدينة العربية الإسلامية الخصوصية والحداثة، مجلة المخطط والتنمية، جامعة بغداد، ع15، 2006م.

المحور الثالث: مفاهيم عامّة حول العمارة الإسلامية.

(المحاضرة رقم: 08 +09 +10+ 11 +12)

1- الخصائص التّقنية والفنّية في العمارة الإسلامية.

2- مدارس وطرز العمارة الإسلامية.

3- ابتكارات العمارة الإسلامية.

4- تأثيرات العمارة الإسلامية على غيرها.

5- مكونات العمارة الإسلامية.

1- الخصائص الفنّية والتّقنية في العمارة الإسلامية.

تعتمد الخصائص الشاملة للفن المعماري الإسلامي على مبدئين ألا وهما: المبدأ الهندسي العلمي والمبدأ الفني الإبداعي، حيث أن الأول منهما يشمل على خصائص تقنية ممثلة في استعمل العمارة الإسلامية للأنماط هندسية على غرار التخطيط الدائري أو الخطي بالنسبة للشكل العام للمدينة أو القرية، أو التخطيط المربع أو المستطيل وغيرها بالنسبة للشكل العام للمباني المشكلة للمدينة أو القرية، ضف إلى ذلك استخدام الأقواس أو العقود سواء نصف دائرية أو المتجاوزة أو المنكسرة أو المفصصة وغيرها، وهاتيه نجدها إما في المباني الدينية أو المدنية أو العسكرية، إلى جانب ذلك فإن من الناحية التقنية نجد استعمال القباب في العمارة الإسلامية هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإنها تتميز بساحات مفتوحة على غرار الساحة العامة في المدينة ككل أو الصحون في المباني السكنية مثلا، ضف إلى ذلك لتوفير الحواجز لتوفير الخصوصية على غرار السقيفة مثلا أو لتوفير الظل على غرار الساباط الذي نجده في القصور الصحراوية؛ أما من حيث الخصائص الفنية للعمارة الإسلامية والتي تكمن في الزخرفة أولا نتطرق لمفهومها، فهي علم من علوم الفنون التي تبحث في فلسفة التجريد والنسب والتناسب والتكوين والفراغ والكتلة واللون والخط، وهي إما وحدات هندسية أو وحدات طبيعية (نباتية –أدمية –حيوانية) تحورت إلى أشكالها التجريدية، وتركت المجال لخيال الفنان وإحساسه وإبداعه حتى وضعت لها الأصول والقواعد، والتي يجب وضع طريق يتبعه لكي يصل إلى وضع تصميمات ورسومات وموضوعات زخرفية وطبيعية وهندسية مأخوذة أو مقتبسة من الطبيعة على أسس سليمة من الناحية الفنية

العلمية؛ فإن الفن المعماري الإسلامي نجد استخدامه للمواد زخرفية على غرار الجص والبلاط المزجج والمنحوتات الخشبية

2- مدارس وطرز العمارة الإسلامية:

الطرز وجمعه الطراز وهو عبارة عن الهيئة التكوينية للشكل العام للعمارة ويشمل في ذلك العناصر الأساسية والثانوية، ولقد كتبت الطرز المعمارية تاريخ الشعوب الاسلامية في كل مكان، حيث اختلفت من مكان لآخر ومن زمن لآخر، وهذا لأنه لا يوجد طراز معماري واحد يعبر عن العمارة الاسلامية، فهناك عدة طرز اختلفت باختلاف المكان والزمان والظروف، حيث جاءت الطرز لتعبر عن شخصية المجتمع الذي نشأت فيه، ومن هنا فإن العمارة الإسلامية تتميز بعدة طرز منتشرة في العالم الإسلامي نذكر منها:

2-1- الطراز الأموي: ويعرف كذلك بالطراز الشامي وهو أول وأقدم طراز معماري في الفن الإسلامي ونشأ في العصر الأموي، فلقد اعتمد الأمويين في بادئ الأمر على عمال وفنانين بيزنطيين وسورين مسيحين وتتلمذ على أيدهم المسلمين ومن هنا نشأ الطراز الأموي وانتقل إلى باقي الأقاليم الاسلامية عن طريق الحكام وأتباعهم أصول هذا الطراز هذا من جهة ومن جهة أخرى، اهتم الأمويين في بادئ الأمر بتجديد بعض المساجد التي نشأت في عصر الخلفاء الراشدين على غرار جامع البصرة وجامع الكوفة وجامع عمرو بن العاص، ثم ازدهار الطراز الأموي في مجال العمارة ليشيدوا مجموعة من المساجد والقصور على غرار الجامع الأموي في دمشق ومن أهم مميزاته المآذن المربعة ذات الجوسق المعمد والاكثار من المناظر الطبيعية بالفسيفساء في أروقته، ضف إلى ذلك للقصور التي بناها الخلفاء في بادية الشام على غرار قصر المشتى وقصر عمرة.

2-2- الطراز العباسي: ويعرف كذلك بالطراز العراقي وبعد استلاء الدولة العباسية على مقاليد الحكم انتقلت سيادة العالم الاسلامي من الشام إلى العراق، بحيث أن هذا الطراز مر بمراحل عدة خلال تاريخه الطويل والذي تأثر بالأساليب المعمارية الساسانية، وغير أساليب البناء في مجال العمارة على غرار استخدام الطوب في الواجهات الرئيسية خاصة واستعمل الدعامات والركائز في حمل الأعتاب عوضا عن الأعمدة، ضف إلى ذلك استخدام الآجر بدلا من الحجارة واستعمال مواد لتغطية الجدران لامعة ذات الألوان، ومن العمائر التي تعبر

عن الطراز العباسي نذكر منشآت مدينتي بغداد وسامراء على غرار مسجدها الذي يمتاز بعمارته الحلزونية، بحيث نجد أن المعماريون قالوا عن العمارة الحلزونية أنها امتداد للزقورات الآشورية، إلى جانب هذا مسجدي أبي دلف وأحمد بن طولون.

2-3-الطراز الفاطمي: فتح الفاطميين مصر سنة 969م، ومن مميزات الطراز الفاطمي تأثره بالفن المعماري السوري البيزنطي، ونجده ذات زخارف فنية متعددة الأشكال، ضف إلى ذلك استعمال الخط الكوفي المزخرف هذا من جهة ومن جهة أخرى استخدامه للنجمة العربية ذات ثمانية فروع.

2-4-الطراز المملوكي: يعتبر عصر دولة المماليك هو العصر الذهبي في تاريخ العمارة الإسلامية في مصر، فقد كان الإقبال على تشيد المباني الدينية على غرار الجوامع والمدارس والأضرحة، ضف إلى ذلك المباني العامة على غرار الحمامات والأسبلة، كما ظهر التنوع والأناقة في شتى العناصر المعمارية من واجهات ومنابر وقباب وزخارف، ضف إلى ذلك اهتمامهم ببناء الواجهات بمداميك بيضاء وحمراء، ومن بين الجوامع ذات الطراز المملوكي نذكر جامع السلطان الظاهر بيبرس.

2-5-الطراز المغربي: وهو طرازا منتشرا بالمغرب الإسلامي والذي يتميز بـ:

- الاهتمام بالرواق الأوسط المؤدي إلى المحراب وجعله أوسع وأعلى سقفا من الأروقة الأخرى، ومن مظاهر الاهتمام بذلك الرواق الأوسط المتأنق في مدخله من ناحية الصحن، فيبدوا هذا المدخل وكأنه مدخل رئيسي للجامع.
- التركيز على بيت الصلاة والاهتمام بعمقه.
- الاكتفاء في الجنبات برواقين أو ثلاثة فيتسع نتيجة ذلك الصحن ويزداد رونقه بهاءً لأن بوائك بيت الصلاة والجنبات تطل عليه في تسلسل متشابه يزيد الشعور بسعة والعمق.
- الاكتفاء بقبة صغيرة أو قبتين وتكون القباب دائما أو في غالب الأحيان فوق الرواق الأوسط أو في الأركان أو في جدار القبلة.
- يغطى جدار القبلة إلى ارتفاع نحو مترين بمربعات الخزف الملون المعروف بالزليج، وتترك بقية الحائط بياضا، وقد يزين بزخارف جصية، أما المحراب فيكون أحيانا في هيئة بديعة من الزخارف، ويحيطونه باطار زخرفي أو من الزليج يصل إلى السقف أحيانا.

– تلتحم بالجدران السقوف خشبية مزخرفة عن طريق إطارات وأفاريز خشبية منقوشة، ويرتفع فوق المباني سقف محدب مائل جمالوني يغطي من الخارج بالقرميد الأحمر والأخضر، وذلك بسبب كثرة الأمطار بالمغرب الإسلامي.

–معظم الجدران الخارجية للمسجد ضخمة، بحيث شبهها بعض الكتاب بالأسوار، وفي بعض الأحيان تقوم على أركان الجدران الخارجية ما يشبه الأبراج، وهي في الحقيقة مآذن تستعمل لرفع الآذان.

– المئذنة تسمى بالصومعة أو المنار أو العساس وهي في هيئة تشبه البرج كما يقول البعض، بحيث تتألف من بدن مربع مرتفع سمك الجدار وتنتهي البدن بشرفة للآذان، ويلاحظ من وسطها بدن آخر أصغر من الأول تختم به المئذنة، فيقومون على هذا البدن الصغير جوسق أو قبة صغيرة؛ تبنى الصومعة في الغالب في الجدار المقابل لجدار القبلة أو خارجه، ويكون لها مدخل خاص من خارج المسجد إلى جانب بابها من الصحن، وقد تبنى من الآجر أو الحجارة، وقد تجصص من الخارج أو تغطى بالزليج وتفتح نوافذ صغيرة في الجدران لتضيء السلم الداخلي، وتكون هذه النوافذ على هيئة زخرفية.

– تمتاز مساجد المغرب الإسلامي بمنابرها البديعة التي عليها أعمال فنية من الحفر والزخرفة على الخشب.

– تكون أبواب المساجد في العادة ذات فخامة تلفت النظر إليها، بحيث تقوم على عقود حذوة الفرس بفصوص أو بغير ذلك، ويرتكز عقد المدخل على كتف حجري منخفض وقد يزين الكتف بأعمدة رخامية ويعلو المدخل أحيانا شمسية خشبية.

– عقود المساجد مدببة أو حذوة الفرس وهي تقوم إما على دعائم من الحجر أو الآجر أو على أعمدة قصيرة من الرخام.

– معظم مساجد المغرب الإسلامي سواءً كانت كبيرة أو صغيرة تستعمل كمدارس قرآنية، وهي تتراوح ما بين كتاتيب القرآن والجامعات مثل جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس.

– تشابه تلك المساجد بالمغرب الإسلامي لا نجده في طراز معماري إسلامي آخر فسواء كان المسجد قديم أو حديث، سواء كان في القيروان أو في فاس فإن الهيئة العامة واحدة، بحيث لا يمكن أن يخطئ الإنسان في التعرف على مساجد هذا الطراز.

– احتفاظ الطراز المغربي بشخصيته وتطوره داخل نطاق الخصائص المميزة لكل جزء من أجزاء المبنى بسبب أن المغرب الإسلامي لم يتعرض منذ دخول الإسلام لتيار ثقافي خارجي إلى مطلع العصر الحديث، فبينما تعرضت بلاد الشرق الإسلامي لتيارات بيزنطية وتركية ومغولية وصينية، وكان لذلك آثاره في تغير أشكال طرزه المعمارية، ظل الغرب الإسلامي من حدود إفريقيا على الأقل إلى المحيط الأطلسي بعيدا عن هذه التيارات، مما أتاح للمعماريين وأهل الفن الفرصة بتطور فنونهم على نفس الأصول وفي نفس الخطوط، مما أضاف على الفنون بالمغرب الإسلامي أصالة فريدة من نوعها، ولم يتعرض لتأثير خارجي إلا من ناحية الأندلس، فكانت العمارة الأندلسية دائما ذات تأثير في عمارة المغرب الإسلامي، خاصة بعد قيام دولها الكبرى مثل المرابطين والموحدين وبني مرين، وامتداد سلطانها على الأندلس فأصبح المغرب الإسلامي وما بقى من الأندلس بلد واحد سياسيا وحضاريا، يتبادل الجانبان تأثيرات ويمكن أن نقول أصبح لها طراز معماري واحد وهو الذي سمية بالطراز الإسباني المغربي أو الأندلسي المغربي، ومن نماذجه نذكر مسجد الكتيبة بمراكش ومسجد حسان بالرباط، ومسجد إشبيلية الذي بناه أبو يعقوب يوسف الثاني الخلفاء الموحدين، وهو الذي مازال مئذنته باقية والمعروفة باسم جيرلدا (الدوارة) إلى جانب كاتذرائية إشبيلية، وقد امتد تأثير الطراز المغربي إلى ما يجاور المغرب الإسلامي من البلاد فنجده بموريطانيا والسنيغال، ونجده حتى في بعض مساجد القاهرة والاسكندرية، ويعتبر جامع عقبة بالقيروان ميلاد الطراز المغربي بإفريقية، ومسجد القرويين بفاس يمثل المرحلة الحاسمة في تطور هذا الطراز.

2-4-الطراز الأندلسي: يعتبر الطراز الأندلسي مدرسة معمارية فنية قائمة بحد ذاتها، ولقد تعددت فروعها مثل الأندلسية المدجنة (المدجنون هم المسلمون الذين بقوا بجهات الأندلس بعد خروجها من أيدي المسلمين)، وهو فن معماري اسلامي مطبق على أبنية نصرانية ومعدل بحسبه، وقد قاموا ببناء الكنائس والمدارس والقصور وفق أصول الفن المعماري الإسلامي، وبتعديلات يقتضيها الفارق الديني هذا من جانب ومن جانب آخر وجاءوا به إلى المغرب مع مهاجري الأندلس الذين أجلاهم فيليب الثالث ملك إسبانيا سنة 1613م، ومما

تجدر الإشارة إليه وجود تشابه كبير بين الطرازين المغربي والأندلسي، واعتبارهما مدرسة فنية واحدة لكونهما تطورا ووجدا في أزمنة متقاربة بينهما.

3- ابتكارات العمارة الإسلامية:

إن العقيدة الإسلامية لم تأمر الناس باتخاذ صيغة محددة في العمارة، ما جعل المعمار المسلم يبدع في تخطيطه المعماري من خلال منطلق العمارة الإسلامية، إذ وظف جميع الأساليب والأدوات للوصول إلى حدّ الروعة في جمالية الشكل ودلالية المضمون من خلال إبداع المعمار المسلم في التشكيل والتكوين والزخرفة والتشييد، على غرار نقل الحجارة بعد قلعها وصقلها وتسويتها، ونقل جذوع الأشجار وغيرها من مواد البناء ليشكل مباني دينية وأخرى دنيوية؛ إن بناء المسجد النبوي بالبساطة في التخطيط والشكل والخال من الزخرفة ولما للمساجد التي أتت بعده مباشرة من التأثير من حيث البساطة هذا من جهة ومن جهة أخرى، تم بناء مساجد عظيمة في دمشق والقاهرة وبغداد والقيروان وقرطبة وغيرها من المدن الإسلامية، وما هي إلا إبداع للمعمار المسلم في تخطيطها وتشكيلها وزخرفتها؛ إن تطور فن العمارة الإسلامية ارتباط بتطور المهارة في الفنون والحرف المرتبطة بهذا الفن على غرار فنون النحت والتصوير والزخرفة والكتابة، علما أن العمارة بظهور الإسلام في غاية البساطة والتواضع على غرار بيت الرسول (ص) في المدينة، وكان مثالا لدور البناء الوظيفي البعيد عن الدور الجمالي؛ عرّف المسلمون في القرن 1هـ/7م في البلاد المفتوحة على حضارتين راقيتين في مجال العمارة من خلال موادٍ وعناصرٍ معمارية كالجحر والفسيفساء في الشام والآجر والمينا في بلاد ما بين النهرين، إن البساطة والتواضع السائد في العمارة في أبنية صدر الإسلام سرعان ما اختفى مع قيام الدولة الأموية، حيث هذه الأخيرة استخدمت أساليب معمارية معروفة سابقا على غرار الأقواس الحدوية والمدببة، ومن روائع ابتكارات العمارة الإسلامية في هذا العهد نذكر المسجد الأموي وقبة الصخرة وقصر الحير الغربي والشرقي والمشتى وقصير عمرة في الشام، وبالنسبة للمغرب الإسلامي والأندلس فإن من ابتكارات العمارة الإسلامية نجد مسجدي القيروان بتونس والمسجد الجامع بقرطبة هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد العمارة العباسية الممثلة في مسجدها الجامع بسامراء ومئذنته الفريدة من نوعها وهي ملوية، وكذا مسجد ابن طولون بالقاهرة، ضف إلى ذلك قصور الخلفاء التي

تكون أشبه ببلاطات ملوك الفرس بقاعات العرش الواسعة وبالإيوان المركزي المقببة، كما ظهر في فن العمارة العباسية القوس المكسور بأربعة مراكز وارتفاع القباب على رقبة أسطوانية، ضف إلى ذلك ابتكار المعمار المسلم للخزف ذي البريق المعدني والدليل على ذلك تزين محراب مسجد الجامع بالقيروان به، والتي يرجع أنها أرسلت من العراق، ولم يقف الإبداع هنا بل استمر مع السلاجقة والفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانين وسلاطين بالمغرب الإسلامي وخلفاء الأندلس، ما يجعل فن العمارة الإسلامية فعلٌ وفاعلية وليس كتلاً صماء إنه يتطور ويتقدم ويزدهر، ومن هنا فقد استطاع فن العمارة الإسلامية أن يهضم تراث الإنسانية الذي سبقه كاملا وأن يعيد إنتاجه بروحه وابتكاراته الخاصة، وهذا لأن جميع الحضارات هي سلسلة متصلة فيما بينها.

4- تأثيرات العمارة الإسلامية على غيرها:

إن العمارة تمثل الهوية الثقافية والمستوى الإبداعي والجمالي للإنسان، وكان لابد من التمسك بأصالتها وحمايتها ودراستها وايضاح خصائصها والوقوف على جوانب الابداع والتميز للمخطط المسلم؛ يظهر الأثر الإسلامي على العمارة الأخرى جليا في الأندلس، وقد بدأ هذا التأثير خصوصا بعد استرجاع الإسبان لطليطلة سنة 1085م واستمراره للاسترداد حتى أواخر القرن 15م، وهذا التأثير مقسما إلى قسمين الأول يتمثل في قيام المعمار الإسلامي المعرفون بالمدجنون بتشييد الأبواب الكبرى للمدائن، ضف إلى ذلك تشييد القصور والكنائس والقناطر وسائر أنواع المعمار في ظل حكام المقاطعات الإسبانية، أما القسم الثاني الممثل في التأثيرات الإسلامية على المعمار الأوروبي عموما والإسباني خصوصا ويتجلى ذلك في تأثيرين الأول يكمن في التصميم المعماري على غرار ظهور الأقبية ذو النواتئ المنتشرة في قرطبة حيث نجدها في الكنائس الرومانية والقوطية في شمال إسبانيا كما في كنيسة طوريس دل ريو وكنيسة سان ميان في اشقوبية، والأبراج المستقلة ذو القواعد المربعة على شاكلة مآذن المساجد، ضف إلى ذلك استعمال الأقواس التي هي على شكل نعل الفرس، واستخدام الحوامل البارزة ذو التقاطع حيث استعملت هذه الأخيرة بجامع قرطبة، علما أنه نجد الكثير من الأبنية الأوروبية المبنية بطرز إسلامية خاصة في مقاطعة أوفرن بفرنسا لكن سرعان ما تطور بها الفنان الأوروبي وحورها تحويرات كثيرة ما يصعب الجزم أنها ذات

أصول الفنون الاسلامية الأندلسية؛ أما التأثير الثاني الذي يتجلى في التزويق والزخرفة حيث نجدها ذات تأثير قوي وعلى رأسها الزخرفة الكوفية بجمال خطوطها وأناقتها، فإن الخط الكوفي كان تأثيره على الفنانين الأوروبيين عميقا ومن ثم سرعان ما قلدوه، علما أن الخط الكوفي يعتبر من أجمل الخطوط التي عرفها الإنسان حسب ما ذهب إليه كبار مؤرخي الفنون؛ نجد مجموعة من الزخارف بواسطة الخط الكوفي في أبواب وواجهات الكثير من الكنائس في أوروبا في العصر الوسيط، كما نرها أيضا على الأثاث أو الأواني، ومن الأمثلة على ذلك نذكر باب كنيسة بوي وواجهات الكنائس الرومانية في غربي فرنسا، والغريب في هذه النقوش نجد تحميدات إسلامية فقد نقلها الفنان الأوروبي دون أن يتبنى معناها، وأحيانا أخرى يعبث الفنان الأوروبي بالحروف حتى يصبح من غير الممكن قراءتها، وقد كان الخط الكوفي من أشهر العناصر الزخرفية الاسلامية التي اقتبسها الأوروبيون، وانتشر هذا التأثير في النحت والعمارة وامتد إلى أعمال المصورين، ولعل أغرب ما حدث من تأثيرات الخط الكوفي أنه كان حافزا لتطور الحروف اللاتينية، فاتخذت له حليات زخرفية وصورت على غرار الحروف الكوفية ورسمت بأسلوب الكرار والامتداد والتشبيك والتعقيد، ثم اختلطت بعد ذلك الكتابة اللاتينية في العصر القوطي بالكتابة الكوفية وأصبح الناس يظنون أنها كتابة واحدة.

5- مكونات العمارة الإسلامية:

أصبح فن تخطيط المدن خلال الحضارة الإسلامية فنا متميزا بطابعه الإسلامي الذي انتشر في أقاليم التي تم فتحها، وقد مثلت هجرة الرسول "ص" إلى المدينة المنورة نقطة البداية في تاريخ العمران الإسلامي، فاستخدمت وظائف جديدة داخل المدينة، لكي تتلاءم مع كونها عاصمة للدولة الإسلامية الناشئة، والتي اتخذت من قواعد الدين الإسلامي منهجا، ومنذ ذلك التاريخ بدأ يتبلور البنيان في بلاد التي شملتها الحضارة الإسلامية. وترتكز الرؤية التخطيطية في المدن الإسلامية على عدة جوانب منها دينية ومنها الاقتصادية ومنها الاجتماعية، يبدأ تخطيط المدينة باختيار موضعها، مع مراعاة علاقته بما يحيط بها مستقبلا، كما يؤخذ بعين الاعتبار تحصينها، وأن يقدر اتساع طرقها وشوارعها حتى لا تضيق، ويعكس الاهتمام بشوارع المدينة قدر الأهمية التي تمثلها باعتبارها الهيكل الأساسي

التي تحدد التكوينات المعمارية، والتي تنطلق من نواة مركزية هي المسجد الجامع، بالإضافة إلى مجموعة من المنشآت العامة كدار الإمارة التي يجب أن تتمركز بوسط المدينة، ويندرج ضمن بنية المدينة الإسلامية ما يلي:

5-1- المنشآت الدينية:

يمثل المسجد الجامع الأساس الأول لهذه المنشآت التي تنوعت وظائفها، وتطورت مرتبطة بظروف الحياة السياسية والاجتماعية في العصور التاريخية الإسلامية المتتابعة، ومن هنا جاءت المساجد والمدارس والخانقات والزوايا والكتاتيب ودور القرآن الكريم ضمن هذه المنشآت، التي استجابت لحاجات المجتمع الدينية والتعليمية وسايرت الحياة الإسلامية، ونذكر منها:

5-1-1- الجامع:

يعد المسجد الجامع أهم عناصر ونواة المدينة الإسلامية، ويرجع ذلك إلى الدور المركب الذي يضطلع به، فهو مكان للعبادة، ومعروف أن شعائر الإسلام تقام في جماعة، ولقد كان المسجد في اول الأمر مكانا تناقش فيه كل أمور المسلمين، وهو ندوة للنقاش السياسي، ومجلس للقضاء، كما يقوم أيضا بدور المدرسة؛ وأول مدينة كان المسجد الجامع يمثل نواتها هي المدينة المنورة، حيث كان المسلمون قبل الهجرة يصلون في شعاب مكة أو في جانب الكعبة، ولهذا لم يكن في اول الأمر في المدينة الإسلامية سوى مسجد كبير واحد تقام فيه الجماعة، ويسمى المسجد الجامع، ومنذ القرن الرابع الهجري بدأ أولو الأمر في جعل عدد المساجد متماشيا مع حاجات الناس، وإذا تتبعنا نشأة المدن الإسلامية لوجدناها جميعها نشأت من حول المسجد الجامع، فمدينة الرسول "ص" يتوسطها المسجد الذي يعد أهم معالم المدينة ونواتها، وكذلك الحرم المكي يتوسط مكة وهو نواتها وقلبها النابض، وعندما أنشأ عمرو بن العاص مدينة الفسطاط أقام في وسطها المسجد الجامع، وهو ما عرف باسم جامع عمرو؛ ويعود سبب المركزية التي يحتلها المسجد الجامع في وسط المدينة الإسلامية، كونها تسهل الوصول إليه من جميع الأماكن المحيطة به، ولعل اختيار قلب المدينة ليكون مسجدها يعود كذلك إلى المكانة التي يحتلها الإيمان في قلب المسلم، وأن المسجد الجامع كذلك يمثل العلاقة الترابطية بين كافة أنحاء المدينة المسلمة، فكما تحتل

الكعبة مركز العلم الإسلامي، ويتوجه إليها المسلمون خمس مرات في اليوم لأداء الصلاة، فإن المسلمين يتوجهون إلى المسجد الجامع في قلب المدينة لآداء الصلاة.

5-1-2- دور القراء والكتاتيب:

تعد دور القرآن الكريم والكتاتيب من المعاهد الأولى في الإسلام، حيث كانت تعلم الصبيان القراءة والكتابة، وقد تزايد عددها ابتداء من القرن 2 هـ / 8م، حتى أصبح في كل قرية كُتاب أو أكثر، وقد استمر نشاطها حتى بعد ظهور المدارس، وقد شهدت بلاد المغرب الإسلامي عمارة الكتاتيب، وكانت بداية بنائها في مدينة القيروان، والتي أسهمت إلى جانب المساجد بدور كبير في تحفيظ القرآن الكريم، وتلقين مبادئ اللغة العربية لصغار أطفال إفريقية؛ ثم ظهرت إلى الوجود دور القرآن الكريم، ولعل البدايات الأولى لظهور هذه الدور كانت بعد جمع القرآن الكريم، والذي تم على عهد الخليفة عثمان بن عفان، ويرجع أنها ظهرت في الربع الأخير من القرن 1 هـ/ 7م، وكانت هذه الدور خارج المساجد لأن مرتاديها من الصبيان الذين لا يجوز تعليمهم في المساجد، لكن بعض المعلمين اتخذوا لهم زوايا في بعض المساجد وغرفا ملتصقة بها لتحفظيهم القرآن الكريم والحديث الشريف، وبعض الأحكام الدينية ومبادئ الحساب، ثم تلتها إلى الوجود دور العلم والحكمة، وهي بمثابة مكتبات أولى احتوت على مؤلفات عربية وأعجمية وتراجم.

5-1-3- الخانقاه:

الخانقاه هي كلمة معربة عن الفارسية خانكاه أو خانقاه، بمعنى رباط الصوفية أو بيت الدراويش الذين يجتمعون فيه للذكر والعبادة، ومنها الحانكي أي المنسوب إلى هذا البيت، وقيل أصلها هو خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، وهي نوع من المعابد التي يعيش فيها الزهاد والمتعبدين الذين حبسوا أنفسهم على التعبد دون ان يزاولوا أي عمل من شؤون الدنيا، بدأت تظهر في المشرق الإسلامي حينما بنى الخلفاء الراشدون الأوائل بيوتا ملحقة بالمسجد كحاجة للمعتكفين والعباد والزهاد للخلوة، ثم ظهرت أبنية على أطراف المدن كمصليات أو مساجد صغيرة بدون محراب لإقامة الصلوات الخمس وقد عرفت باسم الخانقاه؛ ولقد ظهرت كلمة خانقاه لأول مرة في النصوص العربية خلال القرن 4 هـ/10م في خرسان، كما عرف العالم الإسلامي أول بيت للزهد والتعبد في عهد خلافة سيدنا عثمان

بن عفان "ض"؛ ومؤسسوا هذه الخوانق أو الخوانك أو ما يعرف ببلاد المغرب باسم الرباط أو الزاوية، هم رجال متصوفون متزهدون، بدأت حركتهم تظهر في المشرق الإسلامي منذ القرن 2 هـ على يد رابعة العدوية، كما نجد أن ارتباط المذهب الشافعي والحنيفي بالتصوف إلى انتشار الخوانق خارج إيران، ولاسيما في سوريا والعراق وفلسطين ومصر، وعندها أنشأ السلاجقة في دمشق بعضا منها في أواخر القرن 5 هـ/11م.

5-1-4- التكية:

التكية هي دار مجانية خاصة بأرباب الطرق الصوفية يسكنونها بدون مقابل، حيث يتعبدون ويمارسون طقوسهم الصوفية بأسلوبهم الخاص، وهي تعتبر امتدادا للخانقاه التي عرفت في العصرين الأيوني والمملوكي، من حيث الشكل والغاية فهي قريبة منها، ولعل تسميتها مأخوذة من الاتكاء، بمعني الاستناد عليها، ولكل تكية رئيس أو شيخها يشرف عليها، ولقد كانت التكايا المنتشرة في العالم الإسلامي، ولاسيما في أراضي الدولة العثمانية، غير أنها أهملت وعف عنها الزمن بعد الحرب العالمية الأولى 1919/1914م.

5-1-5- المدرسة:

عرفت المدرسة في مطلع القرن الخامس الهجري ببروز أحداث سياسية ودينية واجتماعية في العالم الإسلامي بصفة عامة، حيث ساده الانقسام السياسي والاختلاف المذهبي، وأمام ذلك كله اتجهت أنظار علماء الأمة إلى الإصلاح والتجديد والتصدي للانحراف الديني والتشتت الاجتماعي والصراع المذهبي، وقد ساهمت الأمة في إنجاح تلك الحركة الإصلاحية بإنشاء مؤسسات جديدة في هياكلها ووظيفتها وأهدافها فظهرت بذلك المدرسة، وهي من مستحدثات الإسلام وفي هذا الصدد ذكر المقريزي أن: "المدارس حدث في الإسلام ولم تكن معروفة في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنما حُدث عنها بعد الأربعمائة من سنين الهجرة"، ويعود الفضل للسلاجقة في إنشائها كمؤسسة علمية ومكانا للصلاة، وتعليم المذهب السني لنشره بين الناس، واول مدرسة ظهرت للوجود هي تلك التي شيدها أهل نيسابور، وهي المدرسة السعيدية البيهقية، ثم انتقلت المدارس إلى بقية الحواضر الإسلامية كبغداد والشام فظهرت المدارس في حلب وبعلبك، كما نقل صلاح الدين من جانبه هذا الطراز المعماري إلى مصر التي عرفت بكثرة مدارسها؛ وأخذت عمارتها في التطور

حتى أصبحت تفي بكل متطلبات المدرسة من صلاة وتدريس وإقامة، وقد اكتمل تخطيطها المعماري في العصر المملوكي، وامتدت إلى المغرب الإسلامي لاحقا بصورة واسعة ابتداء من الفترة الموحدية حسب ما ذكرته النصوص التاريخية، ويعود الفضل في ذلك إلى السلطان الموحدي يعقوب المنصور 555-595هـ/1160-1198م، لكن وصولها إلى المغرب الإسلامي كان بعد سقوط الدولة الموحدية، ولاشك أن ذلك كان بتأثير من المشرق ومصر لطبيعة دورها الحضاري وتأثيرها على بلاد المغرب؛ وبالنسبة لتأسيس المدرسة في المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) فنجد مدرسة العباد والمعروفة بمدرسة سيدي أبي مرين ومدرسة سيدي الحلوي، كما شهدت الدولة الزيانية تأسيس المدرسة التاشفينية واليعقوبية، ومدرسة أولاد الأمام التي شيدت سنة 710هـ/1310م ومدرسة ابن مروان بعنابة ومدرسة سيدي لخضر بقسنطينة ومدرسة سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة، وكانت هناك مدارس في مازونة وملیانة وندرومة.

5-1-6- الزاوية:

لازم وجود المدرسة ومنشآت العبادة والتصوف الأخرى مؤسسة الزاوية التي انتشرت في المشرق بصفة عامة، كمؤسسات شخصية غير مرتبطة بالصوفية، فهي مقر أحد الأتقياء يجمع فيها حوله جماعة من التلاميذ، ولهذا السبب كانت الزوايا أصغر من الخوانق، وأكثر منها عددا كما أنها أقدم منها عهدا، ولعل أقدم الزوايا في المشرق هي الزاوية الجيلالية أو القادرية التي أسسها سيدي عبد القادر الجيلالي، والتي انتشرت في المشرق الإسلامي والهند، وعندما انتشر التدريس خارج المساجد وأصبح لكل عالم أو أكثر بناء مستقل يحضر فيه الطلاب اصطلح الناس على إطلاق لسم الزاوية على هذا البناء، كما أطلق على أماكن حلقات دروس كبار العلماء بالجامع سم زوايا، فعرف مكان درس الإمام الشافعي بزاوية الإمام الشافعي، لأنه كان يدرس فيه الفقه، وإلى جانب زوايا المدرسين من العلماء والفقهاء؛ ويعتقد أن ظهور مؤسسة الزاوية في بلاد المغرب الإسلامي كان في بداية القرن7 هـ/13م ويرجع الغبريني أن حدوثها كان أواخر القرن 6هـ بعد ظهورها في المشرق، وسميت في بدء الأمر بدار الكرامة، كالتي بناها الخليفة يعقوب المنصور الموحدي في أواخر القرن 6هـ/12م بمدينة مراكش، ثم أطلق المرينيون على الزوايا التي بنوها في القرنين 7 و8هـ/

13 و14م اسم دار الضيافة، ومنها الزاوية التي بناها السلطان أبو عنان المريني خارج مدينة سلا في منتصف القرن 8هـ/14م.

5-2- المنشآت العسكرية:

لقد اهتم المسلمون بتحصين مدنهم وإعدادها لصد غارات المعتدين، ولذلك فقد تزودت المدن الإسلامية بالحصون والقلاع والأبراج والأربطة القصبات، والأسوار والأبواب وغيرها من المباني ذات الصبغة التحصينية، ونذكر منها:

5-2-1- الرباط:

الرباط هو نوع من المباني العسكرية والدينية في نفس الوقت، موجودا عادة على السواحل البحرية، وهي في الأصل مخصصة للإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها، والرباط والمرابطة هي ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفرقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا، ولقد أنشئت بالكثرة في شمال إفريقيا لصد محاولات الغزو البحري الأوروبي، وأكثر الرباطات كانت بتونس ونذكر منها رباط مدينة سوسة، وفي عمارتها قريبة الشبه بالقصور، هذا ما يعني أن الرباط عبارة عن بناء محاط بسور مرتفع، وتقوم أركانه وعلى مسافات منه أبراج يقف فيها الحراس؛ ومن أمثلتها رباط سوسة المعروف بقصر الرباط الذي يعود لعهد زيادة الله بن الأغلب الذي أسسه سنة 206 هـ، ويقع هذا الرباط على خليج قابس، وهو داخل سور المدينة من ناحية البحر له مدخل بارز يتوسط الواجهة القبلية، ويشتمل على سور مربع الطول ضلعه حوالي 40م، وهو مزود عند أركانه ومنتصف أسواره بأبراج شكلها يتراوح ما بين نصف أسطوانية، ومربعة، يقوم عليه منار أسطواني الشكل ينتهي في أعلاه بجوسق تعلوه قبة، وبداخل السور توجد ثلاث قاعات واسعة؛ أما رباط المنستير فيتكون من طابقين الأول منه خصص للمسجد وقاعات التدريس والاجتماعات والطعام، والثانية منه خصصت للوظيفة الدفاعية وهي الحراسة، وهذا الرباط قريب في عمارته إلى القصور.

5-2-2- الأسوار:

أحيطت المدن الإسلامية التي جعلت كنقاط ارتكاز يتجمع فيها الجند بالأسوار المزودة بالبوابات الضخمة، وقد تصل الرغبة في زيادة تحصينها إلى حد إنشاء أكثر من

سور، فقد تحاط بسورين أو ثلاثة، كما كانت تحفر حولها الخنادق التي يملأ بماء البحر في وقت الضرورة، ومن المدن الإسلامية المسورة نذكر القيروان والمهدية وسامراء والفسطاط والقاهرة والرباط وفاس وبغداد، حيث أن هاتيه الأخيرة كان يحاط بها سوران، اما الداخلي منهما فيتكون من حائطين سميكين، وأما السور الخارجي فيبلغ ارتفاعه 17.5 مترا وسمكه عند قاعدته 11.5 مترا وحوله من الخارج خندق عميق. ويعد السور من أهم عناصر المدينة الإسلامية في فترات فتوحاتها، لكن بعد أن تثبتت الدولة الإسلامية أركانها وحلت فترات الاستقرار السياسي أرجاء الدولة الإسلامية، لم يعد السور من بين العناصر الأساسية للمدينة، ففي الوقت الذي شرع المعتصم في تخطيط حاضرته سامراء سنة 221هـ/836م اهتم بسائر عناصر المدينة، ولكنه لم يؤكد على بناء الأسوار بسبب استقرار ظروف الدولة؛ ثم عاد اهتمام المسلمين ببناء الأسوار والأبنية الحربية حينما أحدقت الأخطار بالعالم الإسلامي خلال القرنيين 9هـ و10هـ أثناء حروبهم مع البيزنطيين، وخلال فترات الحروب الصليبية، ثم أثناء موجات الماغول والتاتار، وكان أكثر السلاطين المسلمين اهتماما ببناء الأسوار سلاطين المماليك خلال القرنين 13م /16م، ومن المدن التي حصنت في هذه الفترة بالخنادق والأسوار مدينة حلب التي جددت أسوارها خلال القرون 14 و15 و16م، كما حصن صلاح الدين القاهرة بقلعة الجبل، وحصن المرابطون مدينة مراكش ببناء سور الحجر سنة 1062م، وحصنت مدينة صفاقص بسور في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد، بني من التراب واللبن، ثم رمم بعد ذلك بالحجارة؛ كما أحطيت كذلك قلعة بني حماد بسور يمتد 7كلم ويمتد على شكل رجل كبش يتبع الشط الغربي لوادي فرج من الناحية الشرقية، ثم يتجه نحو الشمال إلى ان يصل جبل تاكربوست ثم ينحدر نحو جبل قرين، بنت جدرانه من الحجارة بعرض يتراوح ما بين 1.20و1.60م.

5-2-3- القلاع:

القلاع هي طراز من الحصون الذي شاع استخدامها في العصور الوسطى لحماية المدن من العدوان الداخلي والخارجي، وكانت تقوم حينذاك بوظيفتي السكن والتحصين معا، لأن ظروف الحياة في تلك العصور كانت هناك حروبا كثيرة وفتنا داعية إلى ذلك؛ وكانت القلاع بمثابة بروج محصنة تبنى على أمكنة مرتفعة بلجأ إليها السكان في وقت الخطر،

وعادة ما تزود بكل المستلزمات والمرافق كالمسجد والدور والحوانيت والدروب والصهاريج والحمامات، فهي تمثل مدينة داخل مدينة التي تحصنها، وقد شملت عمارتها أقطار الشام والأندلس ومصر، وكانت أول قلعة عرفتها العمارة الحربية هي القلعة التي بناها وليم عم الملك وليم الفاتح في نورماندي، ثم انتقلت القلاع إلى العمارة الإسلامية المبكرة والوسيطة، ومن أمثلتها قلعة أيوب جنوب غرب سرقسطة في الأندلس التي بنيت خلال القرن 2هـ/8م، وقلعة القاهرة الفاطمية التي بنيت خلال القرن 4هـ/10م. أما في بلاد المغرب الإسلامي فقد اهتم الأمراء ببناء القلاع خاصة منهم أمراء بني الأغلب، ونذكر منها قلعة جلولاء في الشمال الغربي من القيروان، وقلعة القصرين، وقلعة مدينة طبنة وغيرها.

5-2-4- الأبراج:

الأبراج هي عبارة عن أبنية دفاعية مرتفعة فوق سور المدينة والقلعة والحصن والخان والرباط والقصر، وهي الجزء الأقوى في التحصينات الدفاعية المعدة للمراقبة والرمي والدفاع والاحتماء، وقد حرص القادة على إقامتها منذ العصور الأولى التي تلت الفتح الإسلامي، وعادة ما تقام الأبراج أيضا على الشاطئ أو السواحل البحرية للدفاع عن المدينة، ويكون موضعها دائما في الأركان السور، أو على جانبي البوابات الموجودة فيها، أقدم على إقامتها الخلفاء الأمويون لأول مرة لإحاطة قصورهم بها في بادية الشام، كما استعان بها الخلفاء العباسيين في قصر الجوسق بسامراء، ثم كثف من اتخاذها الخلفاء الفاطميون والأيوبيين بمدينة القاهرة؛ وتتخذ الأبراج في تخطيطها المعماري مسقطا اسطوانيا أو نصف دائريا أو مضلعا، وتشمل عادة على شرفات علوية توزع بشكل مدروس في أعلى واجهاته لكي يحتمي بها الرماة عند الدفاع عنه، وعلى مزاغل أو مقاذف مفتوحة في جدرانه المطلة على الخارج، يضاف إلى ذلك ممرات الداخلية ومخازن المؤن والأسلحة وصهريج الماء والبئر؛ وكانت بداية إقامة الأبراج في القلاع والأسوار ببلاد المغرب الإسلامي في عهد الدولة الأغلبية عند إقامتهم لرباطي سوسة والمنستير ، كما ظهرت بعد ذلك في عمارة الزيريين بعاصمتهم أشير ضف إلى ذلك برج المنار الذي نجده في سور قلعة بني حماد، وهو ذو قاعدة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها 20م ويشمل على قاعدتين موضوعتين واحدة فوق الأخرى، كما بنى الموحدون مجموعة من الأبراج في مدن الرباط ومراكش وتلمسان وفاس.

5-3- المنشآت المدنية:

5-3-1- دار الإمارة:

دار الإمارة هي من المعالم التي دعت الضرورة لبنائها بالقرب من المسجد الجامع، ومنذ ان بنى الرسول "ص" بيته ملاصقا للمسجد، أصبحت هذه الظاهرة تقليدا معماريا بعيدا عن مساكن عامة الناس، وفي المدن التي انفصل فيها المسجد الجامع عن دار الإمارة ربطت بها شوارع متسعة تتسع لمواكب الخلفاء والولاة أثناء خروجهم إلى الصلاة كما هو في سامراء والقاهرة؛ ويحيط بدار الإمارة والمسجد الجامع مساكن للجند في كثير من الأحيان، وقد عرفت هذه المساكن باسم الحارات أو الخطط، وكان الهدف من إحاطة مساكن الجند لدار الإمارة هو تامين الخلفاء المسلمين، وقد تدرجت دار الإمارة من البساطة في أول الأمر إلى الفخامة خصوصا حينما تعددت دول الإسلام وتنافس الحكام في بنائها؛ فعند بناء سعد بن أبي وقاص لمدينة الكوفة بنى منزله مواجها للمسجد واتخذ فيه بيت المال، والذي تحول إلى قصر الإمارة، كما كان يتوسط مدينة بغداد المسجد الجامع وقصر الخليفة ثم دار الحرس، ومنازل أولاده ومن يقومون على خدمتهم، وتكررت هذه الصورة في كل من القيروان ودمشق والقاهرة ثم قرطبة بحيث كان المسجد الجامع يطل على نهر الوادي الكبير ويواجهه قصر الإمارة، الذي تحول إلى القصر الأسقفي بعد تحول المسجد إلى كنيسة، وفي سامراء التي تأثرت بحدائق الشعوب المفتوحة من المصريين والفرس؛ وقد اهتم الأمراء والخلفاء بمرور الوقت ببناء القصور الفخمة، التي تتربع على مساحات شاسعة والمزودة بجدران وأبراج وأبواب كبيرة، حيث أصبحت قصور دور الإمارة تعرف من دون المباني الأخرى بأسماء تدل عليه وتميزه، فعرفت في قاهرة الفاطميين بالقصور الزاهرة، أشهرها القصر الكبير الشرقي، والقصر الصغير الغربي، وقصر الذهب وقصر الشجرة، وفي بغداد العباسيين عرف من قصورها قصر الذهب، المسمى بالقبة الخضراء، وفي مدينة قرطبة الأموية عرف قصر الزهراء، وفي مدينة غرناطة اشتهر بقصر الحمراء.

5-3-2-الشوارع:

تعد الشوارع في المدينة الإسلامية وسيلة مهمة من وسائل الاتصال، ولم تكن خاصة بالحركة أو فصل الخطط، وإنما كانت تؤدي خدمات متعددة خاصة منها الأنشطة التجارية،

كما هي بمثابة الشريان التي لا تحدث الحركة إلا بها، تقوم بإيصال الأعضاء بعضها ببعض بطريقة انسانية؛ تنقسم الشوارع في المدينة الإسلامية إلى ثلاث مستويات، وهي الشوارع العامة، ويعرف هذا النوع بأنها الشوارع المنفكة عن الاختصاص فالناس كلهم فيه، فهو مشترك عام الانتفاع لكل من يمر به، ويمنع التصرف فيه بما يضر المارة في مرورهم، أما المستوى الثاني من الشوارع هي الشوارع العامة الخاصة وهي أقل درجة من الشوارع العامة، وتتفرع منها شبكة طرق أكثر خصوصية، ويتمثل المستوى الثالث من شوارع المدينة فيما يعرف بالطرق الخاصة، وهي ملك خاص لساكنة الخطط بالمدينة فقط، وبخلاف المستوى الثاني من الطرق فإنه مشترك بين جميع أهل الطريق، وفيه أيضا حق العامة، ويجوز لأي ساكن أن يتصرف في الطريق بموافقة شركائه فيه، ولقد ترتب على هذا التدرج في مستويات الطرق أن أصبحت ذات خصوصيات متدرجة، وانعكست سيطرة الفرق المالكة للطرق، وخصوصيتها في تكاتف أهل الطريق على توفير الأمن له من خلال الأبواب التي أقيمت على الحارات والدروب؛ كما تعكس مستويات الطرق، وأحكامها مدى التكاتف والترابط الاجتماعي الذي كانت تتمتع به المدينة الإسلامية، وهو ما يعكسه الهدف من بناء بوابات الطرق غير نافذة، والدروب وهو الإعلام بحدود أهل ذلك الطريق أو الحي لاشتراكهم في ملكية ذلك المكان، هذا بالإضافة إلى غاية تحقيق الأمن، فقد كانت بوابات المدن والحارات تترك مفتوحة أثناء النهار وتقفل بالليل بعد صلاة العشاء مباشرة، وكانت تغلق أيضا أثناء النهار عندما تقع اضطرابات أو حروب أهلية.

5-3-3- السوق:

تعرف في المصادر والمراجع بعدة تسميات منها الرباع، والوكالة، والقيسارية وعادة ما تحيط الأسواق بالمسجد الجامع، ولقد كان الرسول "ص" أول من قام باختيار وتحديد موقع معين للسوق في المدينة المنورة، حيث قام باختيار بقيع الزبير المجاور للمسجد كموقع للسوق، ثم اعترض عليه كعب بن الأشرف فنقله الرسول "ص" إلى موقع آخر، يعرف اليوم في المدينة المنورة بالمناخة، وقد روى عنه الرسول "ص" عند تحديده لموقع السوق قوله: " هذا سوقكم، لا تنحجروا، ولا يضرب عليه الخراج"، وظل السوق في المدينة المنورة في موقعه دون بناء إلى غاية عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان 41 -60هـ/661-670م وقد

اتبع النمط ذاته في مدن الأمصار حيث عمد إلى اختيار مكان السوق في الكوفة والبصرة والفسطاط في المناطق المحيطة بالمسجد الجامع؛ وكانت هيئة السوق في المدن الإسلامية المبكرة بسيطة، عبارة عن ساحة فضاء بجوار المسجد الجامع، يعرض فيها كل تاجر بضاعته وسلعته على الأرض، فلم تكن الخلافة في هذا الوقت تسمح بإقامة أية مباني في هذه المساحة الفضاء، والمنطقة مفتوحة أمام جميع التجار كل حسب جهده وأسبقية وصوله إلى الموضع الذي يريد، تنفيذا لرغبة عمر بن الخطاب "ض" الذي كان يرى أن الأسواق على سنة المساجد، من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه، ويشترط في السوق كفايتها لكي لا تزيد عن حاجة السكان، فتنهار الأسعار وألا تقل أيضا عن الحاجة فترتفع الأسعار؛ وكانت الأسواق في المدينة الإسلامية ذات أشكال متعددة، فقد كانت تتجمع في جزء واحد من المدينة كأسواق الكوفة، وتتجمع خارجها مثل أسواق الكرخ ببغداد، كما وجدت في المدينة الإسلامية دكاكين وحوانيت مفردة خارج الأسواق، يتفقدها المتحسب لمنع الغش والتدليس فيها، ونجد أيضا في المدينة الإسلامية أنواعا من الأسواق تعرف بالقيصرية، وهي ذات سقف مسنم، وبها حوانيت ومخازن ومساكن يقيم فيها الصناع والحرفيين والتجار، وتغلق مداخلها في الليل. ويعود الفضل الكبير في تشييد الأسواق المسقوفة إلى فترة حكم هشام بن عبد المالك في المدينة المنورة وفي مدن الأمصار، كما تم تجديد سوق القيروان في السنة الأولى من فترة حكمه، وفي الفسطاط قام ببناء قيصرية كبيرة سميت قيصرية الشام.

5-3-4- البيمارستان:

البيمارستان هي المؤسسات التي تشيد من الصدقات الجارية، التي يمتد ثوابها إلى ما بعد وفاة منشئها، وكانت تقدم الخدمات المجانية للمرضى، والمتمثلة في العلاج والدواء والغذاء، ومساعدة أسرهم، وكان اول مستشفى أقيم في التاريخ الإسلامي الذي بناه الوليد بن عبد المالك سنة 88هـ/706م في مدينة دمشق، وجعل فيها الأطباء وأجرى عليها الأرزاق، ولقد حرص السلاطين والأمراء على إنشائها ومن بين البيمارستانات التي امتدت شهرتها لخدماتها الجليلة المقدمة للمرضى نجد البيمارستان القلاووني، فقد روعي عند إنشاءه تشيد قسم خاص بالرجال وآخر بالنساء تأكيدا لمبدأ الخصوصية.

5-3-5- الخانات:

الخانات هي أبنية مخصصة لإقامة المسافرين وقوافل التجارة، ولها أهميتها الخاصة في العمارة الإسلامية بحيث عرفت منذ العصور الأولى، وكانت الخانات على نوعين الأول يقام على طريق السفر خارج المدن المتباعدة فيما بينها، والنوع الثاني منها يقام داخل الحيز العمراني للمدينة، أما من حيث التصميم فقد تميزت بكونها مربعة أو مستطيلة المسقط وكانت لها فناء وسطي مكشوف، حيث تدور مرافقها هذه الباحة السماوية وتتكون غالبا من طابقين، وتحتل أركانه أبراج للمراقبة والدفاع، وقد يحيط به سور خارجي مدعم ببوابة ضخمة، وكانت الخانات واسعة الانتشار في المدن المصرية، كما وجدت في بغداد خانات للتجار على نهر دجلة يطرح فيها المتاع الوارد من الموصل والبصرة وسائر أنحاء المعمورة، في حين كان في مصر خان يسمى دار الوزير.

5-3-6- الحمامات العامة:

الحمامات العامة هي مؤسسة دخيلة عن الإسلام إذ أن المسلمين الأوائل لم يألفوا استعمال الماء الغزير، لكن تعاليم الدين وفرائض الغسل والوضوء جعلتهم يتبنون الحمام العام، الذي يعود أصله إلى الفترتين الرومانية والبيزنطية، إلا أن العدد الهائل من الحمامات التي عرفت في العصور الإسلامية لم تكن بهذا الكم الهائل سابقا بحجة أداء الطهارة وكل ما يتمحور حولها من خدمات؛ قسمت عمارتها إلى قسمين قسم كغرفة التحمم والتي تنقسم بدورها إلى غرف صغيرة، تتمثل في غرفة الملابس وغرفة الباردة، والغرفة الدافئة والغرفة الساخنة، وقسم للتشغيل ويضم الموقد وخزانات الماء الباردة والساخنة، ومن أمثلها قصير عمرة الأموي؛ وحرصا على الخصوصية فقد كان للنساء حمامات خاصة بهم أو تخصص أوقات معينة في الأسبوع، ويقوم على العمل فيها نساء؛ ولقد خضعت الحمامات العامة كمنشآت عامة للقواعد وأحكام البنيان في الفقه الإسلامي من حيث علاقته بالمنشآت المحيطة به، كما روعي في مداخلها كسر زاوية النظر، لكي لا يرى المارة بالشارع من بداخل الحمام، وقد ساعد تحسن الامكانيات المادية لبعض الأسر بإقامة حمامات خاصة بمنازلهم بهدف عدم خروج النساء من المنزل.

5-3-7- الأسبلة:

الأسبلة هي عبارة عن أبنية تقام بالأماكن العامة والأحياء وأركان المسجد، والمدارس والأضرحة، عمارتها تقام في طابقيين الأول يمثل الصهريج لتخزين الماء الذي يتخذ الشكل المربع أو المستطيل، يغطى بقباب محمولة على عقود ترتكز على أعمدة، وفوقه المزملة أو حجرة السبيل؛ حيث حرص المسلمون على توفير الماء في الطريق لعابري السبيل وذلك عن طريق الساقيات العمومية والأسبلة، وقد اعتبر الفقهاء عمارتها من الصدقات الجارية التي يثاب عليها المؤمن، ولقد بدأ الاهتمام بالمنشآت المائية في العهد الإسلامي منذ عصر مبكر، عندما شيد الوزير جعفر بن الفرات 355هـ/965م السبع سقايات لتزويد سكان الفسطاط؛ وبرزت في هذا المجال الأسبلة كمنشأة معمارية تبنى منفردة، تتكون من ثلاثة طوابق الطابق الأول في تخوم الأرض وهو الصهريج الذي يملأ بالماء، والطابق الثاني أرضه أعلى من مستوى الشارع بقليل، ويمثل حجرة السبيل أو حانوت السبيل ولهذه الحجرة شبابيك للتسبيل، وبداخلها أحواض تحت الشبابيك تملأ بالماء العذب من الصهريج، أما الطابق الثالث أي العلوي فهو غالبا قاعة لتعليم الأيتام أو يخصص للشخص المسؤول عن تسبيل الماء للمارة.

6- قائمة المراجع المعتمدة في المحور الثالث:

- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م.
- خالد محمد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة سلسلة دورية، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، العدد: 58، ربيع الأول 1418هـ.
- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.
- فواز عاند جاسم، جوانب من بنية المدينة العربية الاسلامية ودواعي توثيقها، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد1، 2011م.
- جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1992م.
- ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت.
- محمد محمود كالو، فلسفة العمران الحضاري من منظور حضاري، العدد الأول، مجلة مقاربات، المجلس الإسلامي السوري، 2017م.

- السيد الحسيني، المدينة في علم الاجتماع الحضري، ط3، دار المعارف، مصر، 1985م.
- محمد عابدين، الفكر التنموي في مقدمة ابن خلدون، ع1، مجلة جامعة دمشق، 2009م.
- عبد الباقي إبراهيم، الخصائص العمرانية للمدينة الإسلامية، منظمة العواصم الإسلامية، القاهرة، 1991م.
- صالح بن علي الهذلول، المدينة العربية الإسلامية، أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، ط1، دار السهن، السعودية، 1994م.
- خضر طه عبيد، المدينة الإسلامية تاريخها وتخطيطها وعوامل ازدهارها وانحطاطها، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2013م.
- عزب خالد محمد مصطفى، فقه العمارة الإسلامية، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1997م.
- جعيط هشام، الكوفة نشأة المدينة الإسلامية، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1986م.
- جمعة أحمد قاجة، موسوعة فن العمارة الإسلامية، ط1، مطابع السفير التجارية، لبنان، 2000.
- الكناني كامل، تخطيط المدينة العربية الإسلامية الخصوصية والحداثة، مجلة المخطط والتنمية، جامعة بغداد، ع15، 2006م.
- حمزة اسماعيل الحداد محمد، القباب في العمارة العربية الإسلامية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للطباعة والنشر، مصر، 1993م.
- عبد الغني محمد إلياس، المساجد الأثرية في المدينة المنورة، ط2، 1999م.
- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، 2000م.
- وزيري يحي، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، ط1، المجلد 1و2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م.
- عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م.
- سالم عبد العزيز، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1986م.

- عزوق عبد الكريم، تطور المآذن في الجزائر، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006م.
- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

السداسي السادس

المحور الأول: تطور الحركة العمرانية ببلاد المغرب الإسلامي.

(المحاضرة رقم: 01 +02 +03 + 04).

1- الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد المغرب.

2- الخصائص العامة للعمران ببلاد المغرب الإسلامي.

3- العوامل البشرية والطبيعية المتحكمة في حركة العمران ببلاد المغرب الإسلامي.

4- المدن ببلاد المغرب الإسلامي في فترة القرون الوسطى.

5- عمران الجزائر في الفترة العثمانية.

1- الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد المغرب:

1-1- الاطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي:

أطلق هيرودوت النطاق الجغرافي الممتد من غرب مصر في البحر الكبير باسم ليبيا و سكانيه سمهم بالليبيين، بحيث يرتبط ظهور مصطلح المغرب بعصر الفتنة بين علي ومعاوية، بمعنى قبل منتصف القرن الأول هجري، ويظهر استعمله في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي للعالم الإسلامي، والذي يشمل مصر بملحقاتها، والشام وما جاوره ويقابله هذا من جانب ومن جانب آخر، أطلق المغرب على ذلك المساحات الواسعة التي على مصر غربا حتى المحيط الأطلسي، علما أنّ المغرب لم تكن معروفة بهذا الاسم عند الفاتحين المسلمين حينما زحفت جيوشهم على تلك البلاد، بل أطلق على بلاد المغرب اسم افريقية الذي كان سائدا لدى البيزنطيين، وبامتداد حركة الفتح الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي، ومنها إلى بلاد الأندلس أصبح لفظ افريقية غير كاف لتحديد هذا المجال العظيم الذي انطلق فيه المسلمون، ومن ثم بدأ لفظ افريقية يتقلص شيئا فشيئا بينما أخذ لفظ المغرب في الظهور، وأصبح مدلول لفظ افريقية قاصرا على الإقليم الذي توسطه القيروان.

1-2- الإطار التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي:

تركزت المحاولات الأولى للفتح الإسلامي في بلاد المغرب منذ خلافة عمر بن الخطاب وحتى قيام الدولة الأموية في منطقتي برقة وإفريقية، ما جعل هذه المحاولات بعدم تحقيق المسلمين استقرارا يتمكنون بتعريف أهل البلاد بالدين الإسلامي وما يحمله من مبادئ سامية ونظم متكاملة، علما أن هذه المحاولات الأولى للفتح الإسلامي ببلاد المغرب لم تقض على مقاومة الروم (البيزنطيين) بها، ما جعل الخلافة الأموية تحت سلطة معاوية بن أبي سفيان 41هـ/661م أن تبني سياسة جديدة تستهدف فتح منظم لبلاد المغرب، إذ تمت البادرة الأولى بقيادة عقبة بن نافع سنة 50 هـ/670م، تقوم على تأسيس قاعدة ثابتة يستقر فيها المسلمون، ثم ينبعثون منها الغزو ونشر الإسلام، ووقع اختيار عقبة بن نافع على مكان لهذه القاعدة التي سماها القيروان، حيث شرع في بناءها بعد أن فرغ من فتح افريقية وقضي على الروم (البيزنطيين) سنة 50هـ/670م، كما أن عبقرية عقبة تجلت في اختيار موضع القيروان، إذ جاء موقعها على عتبة إقليم نوميديا ما يجعلها مفتاحا لبلاد المغرب الأوسط وما يليها من الأراضي المغرب الأقصى هذا من جانب ومن جانب آخر، بعدها من الساحل يجعلها في مأمن من غارات الروم المفاجئة، إذ أن تأسيس القيروان دامت ما يزيد بقليل من أربع سنوات، لكن مع التطورات الحاصلة ببلاد المغرب بقيادة عقبة بن نافع أمرت القيادة العليا بعزله، وتولي دينار أبو المهاجر سنة 55هـ/676م، والذي انتهج سياسة جديدة قوامها التقرب من البربر لضرب تحالفهم مع البيزنطيين هذا من جهة ومن جهة أخرى، فقد أمر الناس بإخلاء مدينة القيروان والتوجه إلى عمارة مدينة جديدة سماها بتيكروان، كما نجح أبو المهاجر نقل عملياته العسكرية إلى المغرب الأوسط، والذي رأى أن المنطقة الواقعة بين تاهرت ووهران والتي تتوسطها تلمسان قد أصبحت مقرا لتحالف بيزنطي بربري جديد، ما جعل يخرج جيشه حتى وصل إلى تلمسان وهناك اصطدام بالبربر وهزمهم وظفر بكسيلة الذي دخل إلى الاسلام مع عدد كبير من البربر.

2- الخصائص العامة للعمران ببلاد المغرب الإسلامي:

يتميز العمران ببلاد المغرب الإسلامي بمجموعة من الخصائص نذكر منها على شكل نقاط وهي:

– المركزية لوجود المسجد الجامع ودار الإمارة في وسط المدينة، وهذا راجع لتأثر العاملين الديني والسياسي لنشأة المدن الإسلامية في المغرب الإسلامي، ومن هذه المركزية للمسجد تتفرع الشوارع الرئيسية، وتحيط بها باقي المنشآت الدينية والمدنية والمرافق العامة.

– تبرز خاصية المركزية في العمران الإسلامي من خلال نظام العضوية والنظام الحركي والانسجام التركيبي للمدينة، فالمركز يلعب دورا هاما في المدينة الإسلامية، فهو القلب النابض والمحرك الحيوي لها هذا من جانب ومن جانب آخر، يعد المركز مهيكل الفراغات الذي توزيع حوله مجموعة من الوحدات وفق التدرج الهرمي من مركز المدينة نحو الأطراف.

– ينفرد مخطط المدينة الإسلامية بالبساطة والبعد عن الأشكال الهندسية الجامدة، في مقابل ذلك يتجسد التناظر في الأشكال بشكل متسلسل يشبه التدرج المتسلسل لأغصان الأشجار.

– يتحدد حجم المدينة وأبعادها بإمكانية حركة المشاة هذا على المستوى العام، أما على المستوى الخاص فإن حجم المدينة يتحدد من استعمالات الأرض العامة من مساحات وطرق وأزقة.

– الامتداد الأفقي لأبنية المدينة الإسلامية تحكمت فيها عدة عوامل، منها عدم وجود حاجة ماسة إلى استغلال كبير للأرض حتى في المنطقة المركزية من المدينة، وذلك لقلة عدد السكان ما يجعل عدم الارتفاع العمودي لاستغلال المساحة، سواء في السكن أو في الفضاءات العامة، بالإضافة إلى الإمكانيات التقنية المحدودة المتوفرة آنذاك.

– انعكس الامتداد الأفقي على النمط العمراني بدلالات بيئية واجتماعية، إذ أن أفقية المساكن مثلا سمحت بتخصيص فناء في كل مسكن يقوم بوظائف التهوية والإنارة، كما أن انغلاق الواجهات يؤدي إلى تحقيق العزلة وحرمة العائلة، وتمكن أفرادها من القيام بأعمالهم الخاصة بكل حرية، كما أن أفقية البناء في المدينة الإسلامية وتواضع ارتفاع يجعل الاطار العمراني للمدينة خاضعا لنظر الإنسان.

– تتجلى المدينة الإسلامية بمظهرها العام بتكامل مكوناتها في كيان موحد، فالوحدات السكنية معظمها متشابهة حجما ومتناسقة كتلة وتصميما، بحيث تبدو في مجملها متسلسلة ومتجانسة ضمن إطارها الكلي، هذا ما ينتج عضوية النمط العمراني.

– يحتل المسجد الجامع الوسط الوظيفي أكثر منه من الوسط الجغرافي، وهو بمثابة قلبها له دور فعّال في التوحيد بين جميع الوحدات الدينية الأخرى والمرافق العامة والوحدات السكنية والمنشآت الدفاعية هذا من جانب ومن جانب آخر المسجد الجامع لا يخضع في الغالب إلى قواعد التخطيط الهندسي بقدر ما يستجيب إلى حاجة المجتمع لمكان يجمعه وينظم حياته، فالجامع هو المرجعية التي يتعلم فيها أمور دينهم ودنياهم.

– خطت المدينة الإسلامية منذ نشأتها بالمغرب الإسلامي لتلبية مطالب الإنسان وإشباع حاجاته النفسية والروحية والمادية.

– يعد المسكن عنصرا مهما في التكوين المورفولوجي للمدينة الإسلامية، حيث أن الحي السكني بخصائصه يترجم العلاقات والروابط الاجتماعية التي تسود المجتمع الإسلامي.

– يميز المدينة الإسلامية بالمغرب الإسلامي خاصية الاحتوائية التي تعني عمرانيا اقتراب الناس والأشياء بعضهم بالبعض، حيث يكون الاقتراب شديدا، ويتجسد ذلك في مجموعة المساكن التي تشكل وحدة الجوار والتي تشترك في فراغ ألا وهي الرحبة، ضف إلى ذلك المرافق الجماعية كالمصلى والمقبرة....الخ.

– يرتكز تخطيط المدينة الإسلامية على قاعدة الحرمة، حيث يكشف لنا مخططها عن نظام أساسي في المجتمع الإسلامي القائم على وجود حياة خاصة تحقق الانفصال بين الرجال والنساء.

– التكامل العمراني الاجتماعي من خلال الأساس الذي تستند عليه الأحياء السكنية للمدينة، وهو الأساس الاجتماعي، فالأحياء تقوم على أساس الانتماء القبلي أو التبعية الدينية أو العقائدية لا على أساس المستوى المادي الاقتصادي.

– المبدأ الأساسي في تقييم النمط العمراني الإسلامي هو ايجاد التوازن بين الخصوصية المطلوبة للأسرة والتلاحم المطلوب للمجتمع ككل.

– الخصائص المميزة للنمط العمراني بالمغرب الإسلامي هي الاستجابة للظروف المناخية (اتجاهات الرياح ودرجات الحرارة وغيرها)، والتكييف معها في تخطيط وتصميم الهيكل العمراني وفضاءاته المختلفة، على سبيل المثال وجود الفناء الداخلي في البيوت السكنية

لتوفير التهوية بالإضافة إلى الحماية من أشعة الشمس، هذا الفناء يقوم على مبدأ الانفتاح الى الداخل.

– أخذت تخطيط شوارع المدينة الاسلامية بالمغرب الإسلامي توجهها من الشمال إلى الجنوب لتتعامد مع حركة الشمس، كما أنها تساعد على مرور الرياح، بالإضافة إلى الحرص على تضليل الشوارع من خلال التحكم في ارتفاع المباني المحاذية للشوارع الرئيسية.

– تساهم شبكة الطرق بكل مستوياتها في تسهيل الحركة داخل أحياء المدينة الإسلامية بفضل تنوع أحجامها، ومنها ما يربط بين البوابات الرئيسية للمدينة بمركزها بما يمثله من ثقل عمراني ألا وهي الشوارع الرئيسية، ومنها من الشوارع التي تربط الطرق الرئيسية مع الخطط السكنية ألا وهي الشوارع الثانوية.

3– العوامل البشرية والطبيعية المتحكمة في حركة العمران ببلاد المغرب الإسلامي:

يرتبط نشأة العمران الإسلامي في منطقة ما بمجموعة من العوامل التي لها أثر واضح في تشكيله ولعل أهمها ما يلي:

3–1–العوامل الطبيعية:

تعد العوامل الطبيعية من العوامل المؤثرة في تشكيل العمران الإسلامي، وذلك عن طريق تأثيرها على الحياة الإجتماعية والاقتصادية للإنسان، حيث نجد أن بيئته تحكمت في حياته اليومية من مأكل وملبس وعمل، وحرف صناعية، وعموما فإن هذه العوامل هي كل ما يحيط بالإنسان من مكونات طبيعية ممثلة في التضاريس والمناخ(الحرارة، الرياح، تساقط الأمطار، تراكم الثلوج) والغطاء النباتي؛ وتأتي العوامل الطبيعية في مقدمة العوامل المؤثرة في العمران الإسلامي، إذ تساهم المقومات البيئية الطبيعية في استقرار الإنسان في منطقة ما، ليكون عمرانا خاصا به، وعموما فإن هذه العوامل هي كل ما يحيط بالإنسان من مكونات طبيعية متمثلة في التضاريس التي يظهر تأثيرها في تباين توزيع المدن الإسلامية في المناطق الساحلية أو الداخلية وحتى الصحراوية كطبوغرافية الموقع هذا من جهة ومن جهة أخرى تلعب العوامل المناخية دورا بارزا في استقرار الإنسان وظهوره على شكل تجمعات سكنية ليكون المدينة كالرياح، ودرجة الحرارة، وتساقط الأمطار، كما تساعد الموارد

المائية في تمركز الإنسان حولها، وهو يعد عاملا رئيسيا في تحديد التوزيع المكاني للتجمعات العمرانية؛ ويرى **ديمانجون** Demangeon أن العوامل الطبيعية تؤثر في توزيع العمران الإسلامي من خلال النقاط التالية: – التكوينات الجيولوجية– عامل الارتفاع والانخفاض عن سطح الأرض– مصادر المياه– التربة.

3-2-العوامل البشرية:

يعد الإنسان هو العامل الأساسي المحدد لتطوير العمران، وقد أكد الباحث صلاح عبد الجابر عيسى أهمية الكبيرة للعامل البشري في تشكيل العمران الإسلامي بحيث أشار في قوله: "العمران الإسلامي إنما هو نتاج تفاعل الإنسان مع الأرض، والإنسان هو الذي أنشأ العمران، وهو أيضا الذي يستخدمه، فليس من المتصور وجود عمران بدون سكان أو العكس...".

4-المدن ببلاد المغرب الإسلامي في فترة القرون الوسطى:

بدأ إطلاق مصطلح المغرب في منتصف القرن الأول هجري، ويظهر أنه استعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، ويصطلح المغرب على كل البلاد الإسلامية الممتدة من حدود مصر الغربية حتى ساحل المحيط الأطلسي، وتعتبر من الناحية الطبيعية والجغرافية إقليما واحدا له خصائص ومميزات واحدة تجعل من الصعب تقسيمه إلى وحدات سياسية، وقد تمخض عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب تحولات عمرانية كثيرة عملت على تثبيت التحولات الجديدة التي عرفتها المنطقة، وضمان التمازج والتعايش مع السكان البربر، منها ما كانت حديثة البناء بدخول الفاتحين، وأخرى كانت موجودة قبل ذلك عمل الفاتحون بتمصيرها؛ والواقع أن المسلمين منذ بدأ الفتوحات الإسلامية في العراق والشام ومصر وبلاد المغرب قد اهتموا اهتماما بالغا ببناء مراكز انطلاق لجيوشهم التي خرجت من شبه الجزيرة العربية رافعة راية الدين الإسلامي لنشره في كافة أرجاء المعمورة، وقد أراد المسلمون أن تكون هذه المدن الجديدة موطنا لهم ومراكزا إدارية للأقاليم التي تم فتحها من قبلهم، وكذلك أن تكون بمثابة نقاط إشعاع للعلم والمعرفة، ومراكز للتجارة والصناعة والزراعة، لذا فإن الخليفة عمر بن الخطاب(ض) قد حرص على أن يضع شروطا

واضحة لاختيار المكان المناسب لها، وأوضح خريطة تخطيطها، وأمر أن يشارك المهندسون والولاة في تنفيذ التخطيط بعد اختيار الموقع الذي تنطبق عليه الشروط الموضوعية لبناء المدن الجديدة.

4-1- مدينة القيروان:

القيروان مصطلح معرب من الفارسية كاروان، وقد تكلمت به العرب قديما، وهي مدينة عظيمة بإفريقية، مصرت في الإسلام في أيام معاوية "ض"، وكان من حديث تمصيرها ما ذكره جماعة كثيرة من أهل السير، قالوا: عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج الكندي عن إفريقية واقتصر به على ولاية مصر وولي إفريقية عقبة بن نافع، وكان مقيما بنواحي برقة وزويلة منذ ولاية عمرو بن العاص له، فجمع إليه من أسلم من البربر وضمهم إلى الجيش الوارد من قبل معاوية، وكان جيش معاوية عشرة آلاف، وسار إلى إفريقية ونازل مدنها فافتتحها عنوة ووضع السيف في أهلها، وأسلم على يده خلق من البربر فنشأ فيهم دين الله حتى اتصل ببلاد السودان فجمع عقبة حينئذ أصحابه وقال: إن أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم، إذا عضهم السيف أسلموا وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى عاداتهم ودينهم، ولست أرى نزول المسلمين بين ظهرهم رأيا، وقد رأيت أن أبني ههنا مدينة يسكنها المسلمون، فاستصربوا رأيه فجاءوا إلى موضع القيروان؛ وكان عقبة في ولايته الأولى لم يعجبه القيروان الذي بناه معاوية بن حديج قبله، وفي غمرة الحماس اقترح بعض رجاله أن تكون القاعدة الجديدة قريبة من البحر، لتكون لجنودها صفة الرباط فلم يقبل ذلك، لما يجره على المسلمين وقاعدتهم الناشئة من متاعب ومخاطر، من جانب الروم المتفوقين بحريا، كما استبعدت فكرة التوغل بالقاعدة في الداخل، خشية من تحركات القبائل البربرية المتقلبة الأهواء ونجح أخيرا الرأي الوسط، الذي يقترح بناءها في موضع بين الساحل والداخل على أن تكون قريبة من السباخ، ليمكن لإبل المسلمين أن ترعى في أمان، وبعد هذا الاتفاق ركب عقبة وجماعة من أصحابه، ويقال إنه كان في ثمانية عشر من أصحاب رسول الله "ص" وسائرهم من التابعين، وقد أتى موضع القيروان وكان واد كثير الشجر تأوي إليه مختلف الحيوانات كالسباع....؛ وقال أيضا: إنما اخترت هذا الموضع لبعده من البحر لئلا تطرقها مراكب الروم فتهلكها، وهي في وسط البلاد...، فشرع عقبة بن نافع بعد أن استقر على الموقع في

تمهيد المكان للبناء، فأزال الأشجار وأخرج ما فيه من حيوانات، وبدأ في تخطيط المدينة وبناء عمائرها، وكان ذلك في عام 50هـ، وأمر الناس ر فيها حية ولا عقربا، واختط جامعها فتحير في قبلته فبقى مهموما فبات ليلة فسمع قائلا يقول: في غد ادخل الجامع فإنك تسمع تكبيرا فاتبعه فأي موضع انقطع الصوت فهناك القبلة التي رضيها الله للمسلمين بهذه الأرض، فلما أصبح سمع الصوت ووضع القبلة، واقتدى بها بقية المساجد وعمّر الناس المدينة، وقد استخدم في تشييد عمائرها قراميد الآجر لوجود الطين المناسب ولخلوها من الحجارة، فاستقامت في سنة 55 هـ؛ وعمرت المدينة وشد الناس إليها الرحال من كل حدب وصوب، فسكنها أخلاط الناس من قريش ومن سائر بطون العرب من مصر وربيعة وقحطان، وبها أصناف من العجم من أهل خراسان، وبها عجم البلد من الروم والبربر، واتسعت بالأسواق والمرافق، وقد روعي عند تخطيط عقبة للمدينة أهمية السوق والتجارة والصناعات، حيث كان في المدينة إلى جانب السوق الكبير المشتمل على أنواع المتاجر والصناعات، أسواق أخرى متخصصة لأغراض الحرف والصنائع كسوق الصيارفة وسوق الجوهريين وسوق الكتانين وسوق الغزل، وكانت متلاصقة وسوق السراجين وسوق اليهود؛ وبعد عزل عقبة بن نافع سنة 55 هـ/675م، وأصبح دينار بن المهاجر أميرا على إفريقية خلال الفترة 55هـ-62هـ، بحيث تعمد بعدم النزول بالقيروان بأمر من والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري لكونها نسبت إلى عقبة بن نافع، وهو الأمر الذي أدى إلى تشييد مدينة من قبل دينار أبو المهاجر من جهة، وإهمال القيروان من جهة أخرى مما ترتب عنه تأثر منشآتها الدينية والمدنية والعسكرية، حيث تركت فترة طويلة بلغت سبع سنوات حتى عاد إليها عقبة بن نافع، وقد ترتب عند عودته إلى ولاية إفريقية أن استردت مدينة القيروان مكانتها وازدهارها فعمرت وعظم شأنها وجددت منشآتها؛ ثم نزل بها الولاة في العصرين الأموي والعباسي إلى أن انتقل عنها إبراهيم بن الأغلب، بعدما هدم سور الذي كان عليها، لما ثار عليه عمران بن مجالد وعبد السلام بن المفرج ومنصور الطنبدي، فشيد بجوارها مدينة العباسية تعبيرا عن ولائه للعباسيين، ثم آل أمرها بعد ذلك فأصبحت مقرا للدواوين.

4-2- مدينة تاهرت:

تأسست مدينة تاهرت بفضل الإمام عبد الرحمان بن رستم الذي خلف أبو الخطاب عبد الأعلى شيخ الإباضية، فلما قتل محمد بن الأشعث الخزاعي أبا الحطاب في سنة

144هـ، هرب عبد الرحمان بن رستم بأهله ونزل بمدينة القيروان، فاجتمع إليه أتباع الأباضية واتفقوا على إمامته لهم، وبناء مدينة تجمع شملهم، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ بناء مدينة تاهرت ويرجح بنائها سنة 161هـ/777م، وذلك في أعقاب مبايعة عبد الرحمان بن رستم بالإمامة، فنزل بهم موضع تاهرت اليوم، وكان هذا الموضع ملكا لقوم مستضعفين من قبيلتي مراسة وصنهاجة، فطلب منهم عبد الرحمان شراء الموضع مقابل دفع خراج الأسواق والسكن بالمدينة الجديدة، فاختطت المدينة وبني المسجد الجامع ودار الإمارة وبيوت الأتباع؛ وأخذت أخبار عبد الرحمان بن رستم تملأ الآفاق في المغرب الأوسط حتى وصلت إلى مسامع محمد بن الأشعث في القيروان فجهز جيشا سار به نحو سوفجج ونزل في سفحه وحفر خندقا حول معسكره خوفا من هجوم عبد الرحمان ابن رستم ومن معه عليه، وظل محاصرا للجبل مدة طويلة حاول خلالها اقتحام الجبل بكل الوسائل ولكنه فشل واضطر إلى فك الحصار والعودة إلى القيروان بعد أن تفشى داء الحمى والجدري بين جنوده، وقدحكم بنو رستم مدينة تاهرت مدة مائة وثلاثين سنة وتعاقب على حكمها بنو ميمون وبنوا خويه عبد الرحمن وإسماعيل بن الرستمية، ومن ملوكها بنو محمد بن أفلح بن عبد الرحمان بن رستم، وممن ينسب إليها أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله التميمي البزاز التاهرتي، إلى غاية وصل جيش أبو عبد الله الشيعي إليها سنة 296هـ.

جاء اختيار موضع تاهرت وليد الظروف التي واجهت الدولة الرستمية في مطلع تأسيسها، فكان لموضعها مميزات ذات كفاءة عالية جعلتها تنهض بمسؤوليتها على أكمل وجه، وتتضح مميزات تاهرت فيما يلي:

– يمتاز موقع المدينة الرستمية بأنه على سفح جبل كزول المرتفع وتكتنفه غابة ملتفة بالأشجار، يمكن أن تكون أرضا صالحة للزراعة، وتنبع فيها العيون الطبيعية، وتجري فيها نهر لا ينقطع مائه اسمه نهر ميتة، ويكتنف المدينة بأعلى المناطق الجبلية غابات خضراء.

– مدينة تاهرت بعيدة عن خطر العباسيين، وهي تقع في منطقة داخلية منطوية على نفسها في السفح الجنوبي لجبل كزول، لذا فهي تدير ظهرها للبحر وتوجه أنظارها نحو الداخل، وهذا يمثل موقعا استراتيجيا لحماية دولة ناشئة يحيط بها الأعداء من كل جانب.

– وقوع مدينة تاهرت في منطقة محاطة بقبائل أكثر أفرادها مشهورون بانتمائهم للمذهب الإباضي "لواته، هوارة، زواغة، مطماطة، زناتة، مكناسة"، بالإضافة إلى أن موقع تاهرت يعتبر امتدادا لبلاد الزاب، مما يتيح لعبد الرحمان بن رستم الاتصال بالجماعات الإباضية في أقاليم المغرب الشرقية في طرابلس ونفزاوة وبلاد الجريد، دون وجود عوائق طبيعية تمنع ذلك التساع.

–وقوع مدينة تاهرت في منطقة غنية اقتصاديا، فهي تشتهر بمراعيها الواسعة وثروتها الزراعية المتنوعة، ويرجع ذلك إلى كثرة مصادر المياه وتنوعها في المنطقة، وكان لذلك أثره في دعم اقتصاديات الدولة، وجعل من تاهرت عاصمة تجارية مهمة بين مدن المغرب الكبرى.

– توسط مدينة تاهرت إقليمي التل والصحراء، وقد حقق لها ذلك السيادة على المنطقة السهوبية الشاسعة، ما بها من طرق تجارية تمتد غربا إلى المغرب الأقصى وجنوبا إلى قلب إفريقيا عبر الصحراء الكبرى، كما أنها تشرف بموقعها هذا على الطريق المار من منطقة التلول إلى أسفل وادي الشلف المؤدي إلى البحر، وأصبحت تاهرت بذلك نموذجا للحياة التجارية القوية في بلاد المغرب.

لما وقع اختيار عبد الرحمان على هذا الموضع لبناء مدينته المقبلة، وأعجبه مناخها المعتدل اشتراه من ملاكه، وهم من بربر صنهاجة ومنداسة، وبعد أن اتفق مع أصحابها على أن يؤدي إليهم خراجا معلوما يأخذونه من غلتها، واتبع الإباضية في تطهير الغابة وإزالتها نفس السبيل الذي اتبعه عقبة بن نافع في تطهير الفيضة التي أقام عليها القيروان، فأحرق الأشجار ثم شرع في تخطيط تاهرت الجديدة، فشرع في حفر الأساس سنة 144 هـ وأسس مسجدها الجامع والذي يتكون من أربع بلاطات، وكان لهذا الجامع مصلى جنائز على نحو الجامع الزيتونة، ثم أقبل الناس على بناء الدور والقصور والحمامات والفنادق والحونيت والأسواق والأرحاب، فأصبحت تاهرت في أمد وجيز مدينة عامرة تجارتها وقومها مياسير؛ وقد جرى تخطيطها على النحو الذي أتبع في بناء المدن الإسلامية الكبرى، فأختط الإباضية المسجد الجامع من أربع بلاطات واستعانوا في بنائه بأخشاب شجر الشعراء المنتشر بالمنطقة، وحول المسجد الجامع انتشرت الدور والقصور والبيوت والأسواق والحمامات

والفنادق، وتفنن أهل تاهرت تدريجيا في عمارتها وتنظيمها، وأحاطوا المدينة بعدذلك بسور محكم شيد من الصخر، وقد اختطت المدينة فيموضعين تاهرت القديمة والجديدة، ويقال أنهم لما أرادوا بناء تاهرت كانوا يبنون طول النهار، فإذا جاء الليل وجدوا بنياتهم قد تهدمت، فانتقلوا إلى موضع جديد هو تاهرت السفلى، والتي يقابلها قبيلتي لواطة وهوارة، وفي غربها قبيلة زواغة، كما تحاديها من الجهة الجنوبية قبائل مطماطة وزناتة ومكناسة، فشيدت المدينة على سفح جبل جزّول، وهي على طرف نهر يأتيها من جهة القبلة، وهي مدينة شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلوج، وقد أحيطت بعد تأسيسها بسور ولها أربعة أبواب وهي: باب الصفا – باب المنازل – باب الأندلس – باب المطاحن، وقد اشتهرت بأسواقها العامرة وحماماتها الكثيرة؛ ما جعل مدينة تاهرت مقصدا للرحلات ومركزا للهجرات، وهذا لما شاع عدل عبد الرحمان بن رستم في رعيته وحسن سيرته فيهم، ففتحت أبوابها لكل من طرقها من الخارجين على الدولة العباسية، وكان من الوافدين عليها من طائفة من الفرس.

4-3- مدينة "قلعة" بني حماد:

قلعة بني حماد مدينة متوسطة بين أكم وأقران لها قلعة على جبل يسمى تاقربوست، وهي قاعدة ملك لبني حماد بن يوسف الملقب ببلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي البربري، وهو أول من أحدثها في حدود سنة 398 هـ، ولقد كان باعث حماد إلى بنائها هو التدعيم المادي والعسكري والسياسي لاستقلال دولته، وكان من البواعث كذلك البحث عن مكان حصين يستطيع منه أن يحمي دولته الناشئة، لأنه كان يحس أن أبناء أخيه المنصور لم يعجبه هذا الاستقلال؛ ولم يكن موقع القلعة قبل اختياره مجهولا تماما، بل إن هذا الموقع هو امتدادا تاريخيا رشحه لكي يكون المكان المختار لعاصمة الدولة الحمادية؛ تقع قلعة بني حماد بين خطي طول 5 درجات جنوب شرق، وخطي عرض 36 درجة جنوبا، عند جبل المعاضيد ضمن مجموعة الجبال الحضنية، التي تشكل الأطلس الصحراوي على بعد 36 كلم عن مدينة المسيلة حاليا، وقد نقل إليها حماد سكان المسيلة وأهل حمزة وأبناء قبيلة جراوة من المغرب الأقصى، واستقر حماد في هذه المدينة المنيعة التي كانت تسمح له بمراقبة القبائل الزناتية، ولكنه كان من حين لآخر يزور آشير، وهي تمثل المرحلة المهمة في تاريخ الدولة الحمادية، وليس ذلك للمدى الزمني الذي عاشته القلعة كعاصمة أولى في ظل الدولة

وحسب 398هـ- 460 هـ، بل يرجع إلى أن بناؤها واختيارها كعاصمة قد ارتبط ارتباطا وثيقا باستقلال شخصية الدولة الحمادية، وبتأسيسها كدولة مستقيلة.

تميزت القلعة بعدة مميزات وخصائص طبيعية جعلتها مركزا استراتيجيا مهما تمثلت في:

- يطل موقع القلعة على الحضنة، ويسنده قمة جبل تقربوست، التي يبلغ ارتفاع قمته 1418م، وبعلوها هذا نجدها تمثل مركز مراقبة طبيعي- حصانتها من الجهة الغربية بجبل قورين الذي يبلغ ارتفاع قمته 1190م، ومن الناحية الشرقية تسندها مجموعة من السلاسل الجبلية المتلاصقة، حيث تتفاوت قممها ما بين 1000م – 1400م وهي قمة جبل عدوقة وقمة القبة وقمة سيدي سحاب، ومن الجنوب يوجد الممر الذي يمكن المرور منه، بالإضافة إلى ممر آخر يمكن من خلاله الدخول للمدينة، وهو باب الأقواس الذي يخرج منها إلى منطقة الشمال الشرقي؛ وحسب التنقيبات الأثريين بالقلعة فقد تم العثور على عدة قصور بلقعة بني حماد ونذكر منها: قصر المنار وقصر البحر وقصر السلام وقصر الكوكب، فقصر المنار يشمل عدة مباني متلاصقة بعضها للبعض، منها جنوبية وشمالية، حيث الجنوبية تنقسم إلى ثلاثة أقسام (الشرقي والغربي والأوسط)، أما قصر البحر فإنه يتميز بمدخله الشرقي المشكل لقاعة صليبية الشكل وحوض سباحة مفرش بالآجر، وفيما يخص قصر السلام فهو مقسم إلى قسمان، العلوي منه مزود بسور من الحجر مربع محصن من زواياه الأربعة ببروج على شكل ثلاثة أرباع دائرة، وله باب ثاني وواجهة مزينة، واحتوى القسم السفلي منه على صحن 15م، وغرف مختلفة الشكل والمقاسات ومطامير عديدة، فيما وجد قصر الكوكب بين قصري السلام والبحر؛ وللمدينة ثلاثة أبواب وهي باب الأقواس وباب الجنان وباب جراوة، ولم يبق منها إلا الباب الأول، كما شيد الحماديون بالمدينة عدة جسور بقيت آثار اثنين منها: أحدهما غربي المدينة على النهر الموجود بين قصر السلام وجبل قورين، والثاني الذي يحمل اسم سيدي عيسى موجود جنوبي المدينة وخارجها، وتخرج منها ثلاث طرق رئيسية بالإضافة إلى المؤدي لبجاية، اثنان يتجهان نحو القيروان والثالثة نحو تنس، وكانت طريق القيروان الأولى تمر بمقرة وطبنة ونقاوس وبلزمة وقبر مدفوس وقاساس وباغاية ومسكيانة ومجانة وقلعة الديك وسبيبة ووادي الرمل هذا من جانب ومن جانب آخر

كانت تربطها طريق ثانية بالقيروان، أما طريق تنس فكانت تمر بالمسيلة ونهر جوزة وآثير وسوق هوارة وسوق كرام على نهر الشلف ومليانة؛ وعندما أنهى حماد عملية بناء القلعة وتمصيرها لم يفته لكي يحقق الغرض الحربي إلى أبعد مدى أن يحيطها سنة 405 هـ/1014م بسور من الحجارة بلغ ارتفاعه مترا واحدا، يمتد حول جبل كيانة على استدارة سبعة أميال، على شكل رجل كبش فيتبع الشط الغربي لوادي فرج من جهة الشرق، ثم يتجه نحو الشمال إلى أن يصل جبل تاكربوست ثم ينحدر نحو جبل قرين، وثم يتجه نحو الشمال ويعبر وادي ويتبع شطه الشرقي، وكان طول هذا السور المبني من الحجر 7 كلم، وعرضه يتراوح بين 1.20 م و 1.60م وقد دعم هذا السور ببرج المنار؛ كما أنه عمّرها بمن حواليها من البربر، ونقل إليها سكان المسيلة وحمزة، ودمر هاتين المدينتين من أساسهما، كما نقل قبيلة جراوة من أسافل وادي ملوية وفتح أبوابها لكل الباحثين عن معقل أمين حتى من اليهود والنصارى، وازدحمت القلعة بالسكان، وساعد على غزارة سكانها توافر الإمكانيات للمهتمين بالعلوم والفنون والتجارة، وشيد بها المباني العظيمة والقصور المنيعة المتقنة البناء العالية، واستكثر من الفنادق والمساجد وشجع هجرة أرباب الصنائع وأهل العلم والتجار إليها، فلم تلبث القلعة أن استبحرت في العمران، وأخذت تتقدم تقدما حثيثا حتى أصبحت من أعظم مدن الزاب وأجملها وأغناها وأعمرها وأخصبها معالم جميلة؛ وقد حظيت القلعة بعد حماد بعناية لا تقل عن عنايته بها، حيث بنى بعده بها أبنائه القصور واهتموا بالمنتزهات والجنان وايصالها بالمياه، ونظموا لها أبوابها وهي باب الجنان، والتي يخرج منه على جسر إلى المسيلة، وباب جراوة من جسر على وادي فرج، وباب الأقواس يفضي إلى حارة جراوة هذا من جهة ومن جهة أخرى؛ تعرضت القلعة لبعض الهجمات فقد حاصرها العز بن باديس لمدة عامين حين اختلف مع القائد بن حماد الأمير الثاني للدولة سنة 432هـ /1040م، ثم تصالحا وانصرف المعز عنها، وفي سنة 457 هـ/1064م على عهد الناصر بن علسان خامس أمراء الدولة تعرضت القلعة لغارات بني هلال المتعاونين مع تميم بن المعز حاكم تونس الزيرية، فزحفوا إليها وبدأوا في تخريب منطقة الحضنة، ثم دخلوا القلعة ينهبون ويخربون مظاهرها الحضارية، ورأى الناصر أن القلعة قد أصبحت مدينة منهوكة القرى مكشوفة للمغيرين فابتنى بجاية وانتقل إليها سنة 461هـ /1069م، وفي عهد الخليفة

الحمادي الثامن عزا البدو القلعة، واجبروا الحامية على عدم الخروج منها ثم خرجوها، ولما كانت سنة 543هـ/1148م اقتلع منها يحي بن عبد العزيز آخر ملوك الحماديين ما كان بها من أدوات الزخرف، ونقلها إلى بجاية فزينها بها وخمد ذكر القلعة وبقيت مدينة تابعة لبجاية الحمادية إلى أن قدم عبد المؤمن الموحدي بجيوشه الجرارة على افريقية فهدمها وقوض ما بقي بها سنة 547هـ/1152م، وأخذ جميع ما فيها من المال وغيره.

4-4- مدينة بجاية:

تقع مدينة بجاية على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط في شمال شرق المغرب الأوسط، على خط طول 2 درجة و45دقيقة شرقا، وعلى خط عرض 36 درجة و45 دقيقة شمالا، ويلفظ اسمها باللغة الفرنسية بوجي، وقد سمها الفرنسيون الشمعة نسبة إلى بجاية التي كانت تشتهر بهذا النوع من الشموع، ويعود تأسيسها إلى الفينيقيون الذي سموها بصلدة، والرومان الذي سموها بصلداي؛ شيدت مبانيها على حاشية البحر فوق جرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون، وهي بمثابة مرسى يلي جيجل ومنها إلى مرسى بني جناد، كثيرة السكان، وأنها أولية عامرة بأهل الأندلس وبشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة، وقد كانت في بدايتها ميناء قديما فقط ثم بنيت المدينة.

أما المدينة الإسلامية فهي مبنية على شكل مدرج فوق منحدرات وسفح جبل أمسيون "جبل قورايا"، لذلك كانت تبدو المدينة وكأنها معلقة من جبل قد دخل البحر، وتشغل المدينة مساحة على شكل مثلث قاعدته البحر، وتطل على خليج يمتد من رأس كربون إلى رأس بواك، وبه يوجد ميناؤها الذي يتمتع بحماية طبيعية، تتمثل في الكتل الصخرية العالية التي تمنع عنه الرياح العاصفة الغربية والشمالية والجنوبية؛ وكان سبب بنائها هو تهديم القلعة من طرف بنو هلال، مما اضطر المنصور بن علناس إلى الانتقال بعاصمته إلى موضع بجاية، فتأسست المدينة سنة 460 هـ/1067م، بحيث قام بإحاطة المدينة بسور وشيد قصر اللؤلؤة ومباني ضخمة، وأطلق عليها اسم الناصرية، وكان له قبيل من البربر ، وهذا القبيل من صنهاجة، فأصبحت عاصمة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد، والسفن إليها مقبعة، وبها القوافل وإليها منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع بها نافقة، وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال، ولها بواد ومزارع والشعير والحنطة بها كثير والتين وسائر

الفواكه، وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل للقتال ولإنشاء السفن الحمالة والمراكب النقالة؛ وصارت المصادر تتداول اسم بجاية بعد موقعة سبيبة التي دارت رحاها سنة 457هـ/1064م، بين الناصر بن علسان الحمادي وتميم بن المعز البربري صاحب المهدية ومن معه من عرب رياح وزغبة وسليم والمغز بن زيري الزناتي من جهة أخرى، وذلك بسبب العداء التقليدي الذي استمر قائما بين الطرفين، منذ أن انفصل حماد بن بلكين جد الناصر عن ابن أخيه باديس بن المنصور جد تميم؛ انتقل الناصر للاستقرار بها سنة 461هـ/1068م فأصبحت المدينة في ظرف وجيز بأرصفتها وبناياتها العمومية، ومدارسها محل إعجاب القادمين إليها، وكان العديد من الطلبة يتسارعون من كل الجهات لتعلم الشريعة والرياضيات والفقه والطب والفلك على يد أكثر العلماء شهرة في ذلك العصر، وصارت بجاية في النهاية مكانا يحج إليه الاتقياء المسلمين حتى أنها لقبت بمكة الصغيرة.

وقد حصن الناصر المدينة ببناء سور خلافا للسور الروماني القديم، ولقد استقدم الناصر آلاف العمال الذين أتموا بناء السور في بضعة أشهر، وكان متوجا بأبراج، وقد بني السور بطريقة تدريجية من القمة إلى الأسفل، ولكنه يختفي أسفل جبل قورايا في الصخور الشديدة الانحدار، وقد أخذ هذا السور تقريبا نفس مسار السور القديم وزاد عنه في الناحية العليا للمدينة، ويصعد متدرجا مع الجبل في شكل مثلث ضخم حتى يقتحم صخور قورايا الوعرة، ويمتد في خط يساير تعرج الشاطئ، ويحيط بالمدينة من جهة البحر، أما من الناحية الغربية فتبدو آثاره في المنحدر السفلي لسيدي محند أمقران إلى غاية البحر مرورا بالقصبة الموحدية إلى غاية الميناء الروماني القديم، من سيدي محند أمقران يصعد باتجاه جبل قورايا، أما من الجهة الموازية للبحر فهناك سور مواز به أبراج يربط السورين النازلين من قمة قورايا إلى غاية البحر، ويمتد طول السور اجمالا على 5400م ويختلف ارتفاعه من موقع لآخر حسب طبوغرافية الموقع ما بين 4م و6م، ويتراوح سمك جدرانه ما بين 90 سم و2م و1.70م و2.50م.

حكم بجاية بعد الناصر بن علسان ابنه المنصور وهو المولع بالبناء فاختطاط المباني وشيد القصور وأجرى المياه في الرياض والبساتين، فانتقل إلى بجاية سنة 483هـ /1090م بعساكره، واتخذها معقلا وصيرها دار الملك، ذلك أن الأعراب كانوا يعيثون فسادا في نواحي

القلعة، ولما اقتنع أن الذي شجعهم على ذلك هو سهولة السير في طرقها، فاختار الرحيل إلى بجاية لأن صعوبة مسالكها وأوعارها ستحول بينها وبينهم، فقام بتشييد جامعها الكبير الواقع قرب قصر اللؤلؤة، بأبعاد تقدر 220 ذراعا طولا في 150 ذراعا عرضا، ويحمل سقفه اثنا وثلاثون عمودا من الرخام، وكانت واجهته مزينة بسبعة عشر رواقا، تكتنف سقفه قبة، وقد فتحت بجدرانه 22 بوابة صغيرة، وقام بتجديد قصر اللؤلؤة الذي شيده والده الناصر، وأضاف بها قصري أميمون والكوكب الذي اتخذه مقرا لعرشه، وهو بناء عال مزين بتصاوير مرسومة بحجر الرنج ونبات اسمه الرجق، ويلمع هذا القصر مثل أشعة الشمس، وكانت له تسعة أبواب ذات مصراعين من الخشب المنقوش، وكان هذا القصر يشغل مكان برج موسى الذي اسسه الإسباني بيدرو نافارو في القرن السادس، وأجرى المياه في بساتينها؛ بني قصر اللؤلؤة في الناحية الشرقية من المدينة فوق قمة بريجة العليا في أواخر القرن الثاني عشر ميلادي وكانت له نوافذ مشبكة وأبواب مزخرفة، وكانت لقاعدته جدران مكسوة بالمرمر المذهب، وله النقوش ورسوم زيتية حائطية، ولقد حافظ عليه الإسبان عندما احتلوا المدينة دون غيره، واستعمل في أواخر القرن السادس عشر مقرا للحكومة التركية، أما قصر الكوكب فيقع في الناحية الغربية وبالضبط في المكان الذي بني فيه فيما بعد البرج الامبريالي الإسباني، والذي صار يسمى برج موسى، وقد كان مقرا لسلطان تونس الحفصي المخلوع سنة 1283م، أما موقع قصر أميمون فهو في الناحية الشمالية؛ كما كان لمدينة بجاية ثمانية أبواب تمثلت في: باب البحر – باب تاطنت – باب أمسيون – باب المرسى وهو المدخل الرئيسي للمدينة – باب اللوزة الذي اقتحم منه بنو غانية القصبة – باب الجديد – باب البنود – باب الدباغين، ومن هذه الأبواب لم يبق إلا بابان وهما باب البحر ومنه كانت السفن تدخل إلى المرسى الداخلي، وباب البنود الذي يقع في الجانب الشمالي الغربي؛ ومن أحياء مدينة بجاية نذكر حومة باب البحر. وحومة باب أمسيون وحومة باب باطنة وحومة اللؤلؤة القريبة، وحومة المذبح وبها كان يبيع القراصنة أسراهم، وحارة ملالة التي بنى فيها أبناء العزيز مسجدا للمهدي بن تومرت ليدرس فيه، ومن الأحياء التي وجدت خارج سور مدينة بجاية نذكر حومة ساباط الأموي وحارة المقدسي وحومة رابطة المتمني وحومة بئر مسفر القريبة من مقبرة أبي علي رسمية خارج باب البنود، وقد جاءت شوارع مدينة بجاية

ملتوية وضيقة وغير مبلطة، يدخل الضوء إلى أرجائها عبر المسافات القليلة التي تفصل بين مساكنها.

هيأ الحماديون أيضا قصرين متقابلين على ضفتي نهر الصومام، إذ قام الوالي الموحدي أبو الربيع حفيد عبد المؤمن بترميمهما، وهما قصر البديع في الجهة الغربية وقد نهب سنة 1302م، بأمر من الأمير المريني الذي غضب لعدم تمكنه من الاستيلاء على بجاية، والقصر الرفيع في الناحية الشرقية وهو عبارة عن روضة غناء ملاصقة للسور الغربي من المدينة في أسفل قصر الكوكب والقصبة، وأقام فيه السلطان أبو اسحاق سنة 1283م، وقد توجت علاقة صداقة الأمير المنصور مع البابا ملك بلاد الروم بإرسال 100 من مهندسين معماريين وفنانين وحرفيين وعمال لمواصلة تزيين المدينة، فأقام هؤلاء العمال في الجهة المقابلة للغرب والجنوب من المدينة برجا عظيما أطلقت عليه تسمية شوف الرياض، وكان هذا البرج يحمي ثلاثة أبواب أهمها باب البنود الذي كان يفتح بجهة البساتين والواد الكبير، وقد زود في قمته جهار للمرايا تستعمل للاتصال السريع، كما بنى الأمير المنصور قصر أميمون وقصر النجوم، وأكمل قصر اللؤلؤة الذي بناه والده، وأثناء عمليات الانجاز عثروا على خرائب لإحدى الكنائس المسيحية القديمة تتمثل في أعمدة والتي وظفها المنصور في تزيين قصر اللؤلؤة، ولتحصين المدينة فقد أقدم السلطان المنصور في السنة الثامنة من حكمه على بناء سور كبير يحيط بالبستان المسمى الرّفاء الواقع أسفل قصر الكوكب؛ ومن معالم المدينة التي تمت الإشارة إلى وجودها سنة 1300م رابطة مؤقتة في حالة خراب بالناحية الشرقية، خارج باب أميسون، كما كان دفن أموات بجاية يقع عادة في أماكن قريبة من سورها، وفي غالب الأحيان في المقابر الممتدة خارج باب البنود وباب أميسون؛ ومن أسواق المدينة نذكر سوق الشريعة وسوق باب البحر وسوق الصوف.

4-5- مدينة تلمسان:

تنقسم كلمة تلمسان إلى قسمين وهما التل والمقصود بها "تلم وعناها" تجمع بين "أما سان" فقصد بها اثنان، ولعل المقصود بذلك هو المكان الذي يجمع بين الصحراء والتل أو التل والبحر، لوقوعها على سفل جبل يشرف منه على ساحل بحري، وعلى الطريق الواصل بين البحر وما وراءه من الأقطار، وبين الصحراء عن طريق سلجماسة وواحات توات وما

خلفها من بلاد الزنوج، وهي قاعدة من قواعد بلاد المغرب الأوسط ودار مملكة قبيلة زناتة؛ تعد مدينة تلمسان من المدن العريقة لكونها ذات لدنة الهواء عذبة الماء، ولها خمسة أبواب منها ثلاثة بالجهة القبلية وهي باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة، ولها باب بالجهة الشرقية وهي باب العقبة، وواحد بالجهة الغربية الذي ينسب لأبي قرة اليفرني؛ يعود عمران مدينة تلمسان في العصر الوسيط إلى القرن الثاني هجري عندما أقام بها إدريس الثاني مسجدا للصلاة، وعند تأسس الدولة المرابطية أقام يوسف بن تاشفين مدينة مجاورة للمدينة الفينيقية القديمة "أغادير"، أطلق عليها اسم تاجرارت أي المعسكر، حيث أقام المرابطون بها مسجدا كبيرا هذا من جانب ومن جانب آخر، اهتم سلطان الدولة الزيانية يغمراسن بن زيان بإقامة سور حولها سنة 668هـ/1269م من أحصن الأسوار، وبعد الحصار المريني لها قام أبو حمو موسى الأول بإعادة بناء أسوارها وحفر الخنادق؛ كما كانت خلال هذه في الفترة تحتوي على ستة حصون بعضها في اتجاه الغرب والبعض الآخر في اتجاه الشرق، وفي القرن التاسع هجري أقيم سور جديد حولها؛ تضم المدينة مجموعة من العمائر المعمارية على غرار المسجد الجامع الذي يعود تاريخ بنائه إلى العهد المرابطي، وقد زينه يغمراسن بمئذنته الحالية، ضف إلى ذلك مسجد سيدي أبي الحسن الذي أسسه السلطان أبو سعيد عثمان سنة 696هـ/1296م هذا من جانب ومن جانب آخر، نجد من النماذج المعمارية البارزة في مدينة تلمسان قصر المشور الذي أمر ببنائه الأمير أبو حمو موسى الأول، كما توجد مجموعة من القصور والمسابح علما أن من أهم الأمراء الذين يعود لهم الفضل في حركتها العمرانية أبو تاشفين الأول.

5- عمران الجزائر في الفترة العثمانية:

5-1- الوجود العثماني بالجزائر:

كانت مكانة المغرب الأوسط في الفترة الحديثة خاصة القرنين 15م و16م ذات أهمية بالغة، ما جعلها محل أطماع العديد من الدول الأجنبية على غرار إسبانيا، بحيث أن هاتيه الأخيرة قامت باستيلاء على بعض المدن الجزائرية، حيث احتلت المرسى الكبير في أكتوبر 1505م، ووهران سنة 1509م ومستغانم سنة 1511م، وحاصروا سكان الجزائر حصارا دائما، والسبب يعود لضعف دولة بني زيان، وانقسم الجزائر إلى مجموعة من الإمارات

الصغيرة على غرار إمارة جبل كوكو ببلاد القبائل، والإمارات الحفصية بقسنطينة وإمارة الدواودة وإمارة بني جلاب وإمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة، ما جعل أطماع الإسبان تمديدها إلى الجزائر؛ ولكن خلال نفس الفترة (القرن 16م) توجهوا الإخوة بربروس إلى السلطان الحفصي بتونس، وطلبوا منه منحهم مكانا يلجؤون إليه فوافق على طلبهم، ومنحهم مكانا في حلق الوادي يسمى "جلطة"، علما أن الإخوة بربروس لم يكنا بعيدين عن مسيرة الأحداث والتطور التي تحصل بالمغرب الأوسط، فقد شكل مجموعة من الأعيان والعلماء من أهل بجاية لمقابلة الإخوة بربروس(عروج وخير الدين) واستنجادهم بهم لإنقاض بجاية من قبضة الإسبان، ما جعل عروج وخير الدين يلتحقون ببجاية سنة 1512م، وبحوزتهم 12 سفينة مزودة بالمدفعية وحوالي ألف جندي تركي، ووضعوا خطة لطردهم ولكنهم فشلوا وانهزموا ببجاية، حيث فقد عروج ذراعه فيها والدليل على ذلك قول خير الدين في مذكرته: "اجتمع الجراحون مرة أخرى للتشاور فلم يتوصلوا إلى حل آخر غير قطع ذراع أخي فأذنت لهم فقاموا بقطعها..."، إلا أن عروج لم يقفد عزيمته ورأى أن محاصرة بجاية واحتلالها ليس بالأمر الهين، فصمم على فتح جيجل التي كانت تابعة لمدينة جنوة الإيطالية احتلها الأميرال أندريا دوريا، وأخرج منها سكانها المسلمين سنة 1260م، واتخذها مركزا لتبادل التجاري بين إيطاليا وإفريقيا، ما جعل أهل مدينة جيجل يستنجدون بعروج وخير الدين فتوجهوا إليها سنة 1513م وقاموا بمعارك بشراكة مع جماعة المجاهدين بالمنطقة، ونجحا بفتحها وإعادة السكان إليها سنة 1514م، وبذلك حقق الإخوة بربروس هدفا مزدوج هو إنقاذ بلدة إسلامية من يد العدو، والاستقرار بمركز يسمح لهما ورجاله بالتوسع من أجل تطهير البلاد من الاحتلال الأجنبي؛ لما احتل الإسبان مدينة الجزائر من طرف بيدرونافارو استنجد سكانها بالإخوة بربروس سنة 1516م، والذين كانا متواجدين بجيجل لكن عروج لم يتمكن من طرد الإسبان بسبب سوء معاملة الجنود العثمانيين للسكان مدينة الجزائر، ضف إلى ذلك مؤامرة سالم التومي الثعالبي ضد الأتراك، فتفطن عروج للأمر وقضى عليه، وأعلن نفسه سلطانا على مدينة الجزائر، ثم توسع ودخل الإخوة بربروس إلى مليانة وتنس ودلس ومدية، هذا ما جعل عروج يتوسع نحو الغرب الجزائري ليمتد حكمه من تنس غربا إلى دلس شرقا بينما أخيه خير الدين يتجه نحو الشرق هذا من جانب ومن جانب آخر، توجه وفد من أهالي

تلمسان إلى الجزائر ليستنجدوا بعروج ضد أبي حمو الثالث، وهذا الأخير تحالف مع الإسبان ووضع حاكم تلمسان في السجن، فاتجه عروج سنة 1517م إلى تلمسان وفي طريقه إليها ترك حامية عسكرية بقيادة أخيه الأصغر اسحاق بقلعة بني راشد، لما سمع أبو حمو الثالث باقتراب عروج إلى تلمسان أسرع للاستنجاد بالإسبان والاحتماء بهم ضد الأتراك، فأعانوه وحاصروا معه تلمسان في 921هـ/ماي 1518م، واصل عروج سيره نحو تلمسان فدخلها بدون مقاومة ونصب ابن أخ حمو أميرا عليها وبعد فترة قصيرة قتل أميرها أبا زيان، ما جعل ينصب نفسه سلطانا على تلمسان، لكن القوات الاسبانية رفقة أبي حمو لم تعط له الفرصة فتوجهت له في جانفي 1518م بقيادة جيش قوامه عشرة ألاف جندي، فاستولت على قلعة بني راشد وقتلوا الحامية التركية، بما فيها الأخ الأصغر لعروج في شهر ماي 1518م، وتوجهت القوات الإسبانية إلى تلمسان وبعد حصار دام 6أشهر سقطت في يد الإسبان ولم يتمكن منهم عروج لقلة العدد والعدة، وفر رفقة جنوده الأتراك فلحق به الإسبان خارج تلمسان بالواد المالح نواحي عين تيموشنت دارت معركة بينهم، حيث استشهد خلالها عروج وجنوده عام 1518م عن عمر ناهز 45سنة، بعد ذلك دخل محله ملكا على الجزائر أخوه خير الدين الذي عين في منصب قبطان باشا بعدما وصلت أخبار وفاة عروج بعد بضعة أيام إلى الجزائر التي كان يحكمها أخيه خير الدين وحزن على خسارة أخيه، فقال في مذكراته:" قتل أخي تقريبا مئة اسباني قبل أن يسقط شهيدا..."، فوجد نفسه بعد مقتل أخيه في موقف محرج للغاية فأدرك ضعفه السياسي والحربي، فالأعداء يحيطون به من كل جانب، ففي الغرب بني زيان تلمسان وحلفائهم بوهران وفي الشرق بنو حفص، فقد كان كل طرف يسعى للإطاحة به، وكان مجال سلطة الأخوين بربروس عند مقتل أخيه سنة 1518م يمتد من جيجل إلى نواحي مستغانم ومن مدينة الجزائر إلى المدية، ظل هذا المجال يزداد توسعا إلى غاية أوائل القرن 19م، فاضطر خير الدين إلى طلب المساعدة من سليم الأول بتركيا ليرسل له سنة 1518م ألفين من الانكشارية، وكان هدف السلطان جعل الجزائر حصن أماميا يحمي الدولة العثمانية من المد الإسباني والبرتغالي، ومنذ ذلك الحين دخلت الجزائر تحت حكم السلطان العثماني، وعين خير الدين حاكما لها سنة 1519م فلقب بباي البايات (بيلرباي).

5-2- مراحل الحكم العثماني بالجزائر:

بعد ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية وتعين خير الدين حاكما على الجزائر بدأت مراحل الحكم العثماني بظهور في الجزائر، وكان لكل مرحلة حكامها وخصائصها العامة، بحيث مرت الجزائر بأربع مراحل الممثلة في:

5-2-1- مرحلة البيلربايات 1519م-1587م:

كان لقب باي البايات يطلق على حكام الجزائر الذي يتم تعينه من طرف السلطان العثماني، وكان أولهم هو خير الدين وأخرهم هو علي باشا، حيث سوف نقدم كل حكام للجزائر في فترة البيلربايات وأهم مميزات فترة حكمه فيما يلي:

- **الحاكم خير الدين 1519م-1535م:** ومن مميزات فترة حكمه نذكر:

- كانت معظم ولاته أقوياء وذو سلطة ونفوذ.
- كانت الحرب على جبهتين الخارجية منها الممثلة في الصراع مع الدول الأوروبية على غرار إسبانيا، ومحاولة طردها من السواحل الجزائرية، والجبهة الداخلية الممثلة في المؤامرات الحفصية وبني زيان وبعض الإمارات على غرار إمارة جبل كوكو ببلاد القبائل.
- تمركزه في مدينة جيجل والشروع في تنظيم جيشه والاستيلاء على المدن المتبقية على غرار قسنطينة 1521م، وعنابة 1522م والحضنة والقبائل ومتيجة 1525م.
- تعين خير الدين من السلطان سليم الأول قائدا عاما للأسطول البحري العثماني سنة 1535م.

- **الحاكم حسن آغا 1535م-1544م:** ومن مميزات فترة حكمه نذكر:

- شن الإمبراطور الإسباني شارلكان حملة سنة 1541م بقوة عسكرية مكونة من الألمانيين والإسبانيين والإيطاليين والمالطيين والفرنسيين، ومقدرة بـ12ألف و330 بحارا و451 سفينة، حيث نزلوا يوم23 أكتوبر 1541م على ضفة واد الحراش ثم توغلوا داخل مدينة

الجزائر، لكن سوء الأحوال الجوية أدى إلى انهيار معنويات جنود شارلكان وعودته إلى إسبانيا دون أن يحقق نتيجة إيجابية ضد حسن آغا.

- سار إلى بلاد القبائل سنة 1542م لتأديب سلطان إمارة كوكو أحمد بن قاضي، كما توجه إلى تلمسان ودخلها بدون مقاومة.

- **الحاكم حسن باشا 1544م-1552م:** ومن مميزات فترة حكمه نذكر:

- تنظيم الجيش والقضاء على الثورات الداخلية.
- اعتنى بتحصين مدينة تلمسان وشيد بها حمامات ومستشفى لجنوده.

- **الحاكم صالح رايس 1552م-1556م:** ومن مميزات فترة حكمه نذكر:

- واجه ثورة عنيفة في الجنوب على غرار الاستيلاء على ورقلة.
- طرد الإسبان من بجاية نهائيا ودخلها يوم 155/09/28م.
- محاولة استرجاع مدينتي وهران ومرسى الكبير بعدما أرسل له السلطان العثماني سليمان 40 سفينة حربية و6000 جندي، ولكنه توفي إثر طاعون سنة1556م وهو يستعد للحملة.

- **الحاكم حسان قورصو 1556م-1557م:** ومن مميزات فترة حكمه نذكر:

- وصل إلى وهران عن طريق البحر ومحاصرتها برا وبحرا، ولكنه تلقى رسالة من الباب العالي تأمره برفع الحصار عنها، فاضطرا إلى التخلي عن قسم من عتاده الحربي.

- **الحاكم حسن بن خير الدين 1557م-1561م:** ومن مميزات فترة حكمه نذكر:

- استرداد مدينة تلمسان من الملك المغربي.
- التصدي للهجوم الذي قام به الإسبان كوديت حاكم وهران ضد مستغانم سنة 1558م.
- حطم الجيش البحري الجزائري البواخر الإسبانية بخليج أرزيو.
- فكر في شن هجوم على الحامية الإسبانية بوهران بعد مقتل حاكمها الكونت كوديت، لكن جنود الأتراك تمردوا عليه ودبروا له مؤامرة فألقوا القبض عليه سنة 1561م، وبعده نصب السلطان العثماني **أحمد باشا على الجزائر** لكن حكمه لم يدم طويلا إذ توفى بعد 3أشهر.

- **الحاكم علي باشا 1561م-1587م:** ومن مميزات فترة حكمه نذكر:

- تقدم القوات العثمانية حتى مركز المغرب الأقصى.
- إدخال مدينة قسنطينة تحت الحكم العثماني.
- تأسيس أول نواة بحرية جزائرية التي سيطرت على البحر المتوسط ما يقارب ثلاثة قرون.
- تنظيم البلاد وإخضاعها إلى السلطان العثماني.

وقد تميزت فترة البايلربايات في ظل الوجود العثماني بالجزائر والتي نوجزها فيما يلي:

- دام عهد البايلربايات 70 سنة.
- يأتي قرار تعيين الحاكم من طرف السلطان العثماني.
- كانت السلطة في يد رياس البحر أو جنود البحرية.
- تميزت الحياة السياسية فيها بالاستقرار وتحالف الجميع ضد العدو الإسباني.
- تميز بكثرة العمران والعمارة حيث اهتموا ببناء الحصون والقصور والمساجد والحمامات والمدارس والموانئ.

5-2-2- مرحلة الباشوات 1587م-1659م:

انتقلت نظام حكم الجزائر إلى عهد الباشوات اعتبارا من سنة 1587م بحيث يتم تعينيهم من قبل مركز الدولة العثمانية، وقرر إلغاء لقب البايلربايات من السلطات العثمانية وتعويضها بالباشا، ولهذا لكي يخفف النزاع الموجود بين فئة الرياس وفئة اليولداش؛ وأول باشا تم تعينه هو دالي أحمد سنة 1587م، وفي عهده كثرت الغزوات البحرية الجزائرية ضد السواحل الأوروبية على غرار إسبانيا وصقلية ونابولي ثم خلفه باشان، وحل مكانه سنة 1592م شعبان باشا وبعد أربعة أشهر خلفه خضر باشا والذي حكم الجزائر لثلاث مرات متتالية؛ وقد تميزت فترة الباشوات في ظل الوجود العثماني بالجزائر والتي نوجزها فيما يلي:

- تعين باشا تركي في كل من الجزائر وتونس وطرابلس بعد أن كان هناك حاكم واحد للمنطقة الذي يوجد مقر حكمه بالجزائر.
- بدأت تظهر الخلافات بين جنود البحرية الجزائرية (الرياس) وبين جنود البحرية العثمانية، وخاصة عندما حاول الأتراك أن يخضعوا المصالح الجزائرية لمصالح الدولة العثمانية.

- برزت قوة الرياس إلى درجة أن دول أوروبا أصبحت تخشى الجزائر وتسعى لإقامة علاقات تعاون معها.
- إضعاف السلطة العثمانية بالجزائر.
- تميز العهد بالركود من حيث التوسعات التي تمت في العهد السابق.
- تميز بتجدد أطماع والتدخلات الخارجية في الجزائر، حيث تعرضت مدنها الساحلية على غرار الجزائر العاصمة إلى جبهات أوروبية عدة اسبانية وفرنسية.
- توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا بسبب عدة مشاكل ذات الصلة بالقرصنة والحروب البحرية وامتيازات التجار الفرنسيين.
- تصادم وتنافر بين جنود البحرية وجنود القوات البرية(اليولداش) هذا ما سبب في إضعاف حكام الدولة الجزائرية في هذا العهد.

5-2-3- مرحلة الأغوات 1659م-1671م:

تناوب على منصب الآغا بالحكم في ظل الوجود العثماني بالجزائر أربعة أغوات وهم:

- خليل آغا 1659م-1660م
- رمضان آغا 1660م-1661م.
- سفيان آغا 1661م-1665م.
- علي آغا 1665م-1671م.

وقد تميزت فترة الأغوات في ظل الوجود العثماني بالجزائر والتي نوجزها فيما يلي:

- اضمحلال نفوذ السلطات العثمانية وغياب سياستها بالجزائر.
- تذمر أبناء الشعب من الفساد السياسي وانتشار الفوضى في البلاد.
- بدأ عهد الأغوات بفوضى عارمة تزعمها رياس البحر من جهة، والجنود الانكساريون بحيث قضوا على سلطة الباشا الذي أصبح منصبه شرفيا، واتفقوا على اسناد السلطة التنفيذية للآغا.

- نجح اليولداش(الجنود الأتراك) في قلب نظام الحكم والانفصال عن العثمانيين والحد من سلطة الرياس، ولكنهم فشلوا في إنشاء نظام سياسي ديمقراطي ناجح.
- يحمل هذا النظام في بدايته بوادر الانحلال والتفكك والفوضى لأنه وضع الاغتيال كقاعدة أساسية لكي يحل آغا جديد محل آغا قديم.

5-2-4- مرحلة الدايات 1671م-1830م:

تمكنت طائفة الرياس من تنظيم انقلاب جديد وإلغاء نظام الأغوات وتعويضه بنظام جديد ألا وهو الدايات، حيث حاولت طائفة الرياس أن تتخطى الخطأ الذي وقعت فيه اليولداش عندما قيدوا مدة حكم الآغا، لكنها وقعت في خطأ عندما قررت انتخاب الحاكم لمدى العمر؛ وأول داي حكم الجزائر هو الحاج محمد باشا وجاء بعده كل من الداي شعبان والداي الحاج مصطفى، وأول من أعلن الانفصال عن الإمبراطورية العثمانية هو الداي علي شاوش وخلفه الداي محمد بن الحسين، وتميزت فترة الدايات في ظل الوجود العثماني بالجزائر والتي نوجزها فيما يلي:

- توفير الاستقرار عبر سلطتهم الواسعة.
- الاستقلال عن الدولة العثمانية خاصة في عهد الداي حسين سنة 1711م.
- تحول جنود البحرية من جنود مناضلين ومقاتلين ضد القوات المسيحية المناهضة للإسلام إلى رجال يبحثون عن الغنائم لأنفسهم وللحكام.
- كثرة الغارات الإسبانية على سواحل البلاد.
- تحكم الطبقة العسكرية واحتكارها للسلطة، وجعل الشعب على الهامش لذلك كثرة اغتيالات للدايات، ونشوب الفتن والاضطرابات الأهلية خاصة بين سكان الجزائر العاصمة.
- محاولات الدولة العثمانية المتكررة التدخل في شؤون الدولة الجزائرية من أجل استرجاع سلطتها ونفوذها السابق أيام حكم البايلربايات والباشوات وتأثير ذلك على مركز الدايات.
- اهتم حكام الجزائر في القرن 17م بجمع الثروة من العمليات الحربية في البحر، ولم يهتموا بتطور الدخل من الثروة الفلاحية وتوفر الغذاء للسكان.

• تمكن حكام الجزائر من القضاء على الوجود الإسباني، وكان أخرها سنة 1792م حيث تمكن قادة الجزائر من طرد الجيش الإسباني من وهران والمرسى الكبير.

• كان مقر الداي بدار السلطان وهي تشمل جغرافيا على 5 مدن هي: الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال ودلس، أما باقي الإيالة فقد خضعت إلى تقسيم إداري يتمثل في:

-بايلك الغرب وكان عاصمته مازونة ثم معسكر 1710م ثم وهران 1792م.

- بايلك التيطري عاصمته المدية وهو مقسم إلى أربع قيادات: قيادة تل الظهراوية وتل القبلية وقيادة الديرة أو سور الغزلان وقيادة الجنوب.

- بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة.

5-3- العمران في الجزائر خلال العهد العثماني:

تتوفر الجزائر على ثروة ثمينة من الشواهد الأثرية والمفاخر العمرانية منها ما هو قديم يعود إلى الحضارة الرومانية والبيزنطية وغيرها، ومنها ما يرجع للفترة الإسلامية، ويعود في جله إلى مآثر الحماديين والمرابطين والموحدين والمرينين والحفصين والزيانين وبعض الأخر للعهد العثماني، وهذا الأخير مدّ لنا صدارة في مجالي العمران والعمارة، بحيث تميز بحس تنظيم المكان وتوازن الكتل، بما أن الجزائر التابعة للسلطة العثمانية فإن المظهر المميز لعمرانها هو تناسبه مع الملامح الإسلامية التي تظهر بوضوح من حيث تراعي البساطة وخصائص المجتمع الإسلامي، أهمها إلزام الحشمة والحياء وعدم التطفل على المنازل هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن الوازع الديني الذي يدعو إلى المحافظة والتزام حدود اللياقة الأدبية والأخلاقية، لذلك بنيت مساكن المدن الجزائرية بشكل ونمط النظام إلى بعضها البعض وكأنها كتلة واحدة، وهذا ما نتج عنه تغطية للطرقات والممرات الضيقة، فالنسيج العمراني لمدن الجزائر في العهد العثماني لا تختلف كثيرا عن بقية الأنسجة البلاد الإسلامية رغم اختلاف تضاريسها الطبيعية منها، علما أن النسيج العمراني يحوي على مجموعة من المساكن بمختلف أشكالها المركبة والبسيطة منها، وهي ذات تتميز بمواصفات نذكر أهمها اتسامها بطابع التربيع والتكعيب، وتختلف المواصفات والتصميمات من مسكن لآخر تبعا لموقع المسكن والمساحة التي يشغلها، كما تميزت واجهاتها بالوقوع في الأزقة الضيقة بعيدة

عن الشوارع الرئيسية التي تكثر فيها الحركة كالأسواق والمرافق العامة، ويعود ذلك لعدة أسباب منها الاحتياط لهجمات الجيش الانكشاري والامتثال للقيم الإسلامية، كما اعتنى الجزائري بالمؤسسات الدينية والاجتماعية التي تهدف إلى غرس القيم والاخلاص في نفوس السكان وهي أبرز صفات الحضارة الإسلامية، ومن أهم هذه المؤسسات التي اهتموا بها هي المساجد، نظرا لدورها الكبير في توجيه سياسة الدولة، وقد ظهر الأسلوب التركي بشدة في القرن 16م في الهندسة المعمارية للمساجد، ضف إلى ذلك إقامة في المدن إلى جانب المساجد كتاتيب قرآنية وزوايا ومدارس علمية هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد اهتم الكثير من السلاطين العثمانيين في الجزائر بالعلوم والفنون وفتحوا قصورهم أمام الشعراء والعلماء فحولوها إلى أكاديميات علمية ضمت المدارس كافة التخصصات في العلوم العقلية التطبيقية والنقلية يكمل بعضها البعض، وخصص للطلاب مكان الاقامة وأوقف عليه الأوقاف لتوفر نفقات المدارس والطلاب والمعلمين، كما ألحقت بهذه المدارس مكتبة مزودة بكافة المصادر وجعل عليها موظف متمدرسا يسجل الزوار والكتب المعارة والمعادة.

وتميزت المدن الجزائرية في العهد العثماني بالتصاق مبانيها وتكاتلها مع بعضها، بشكل جعل من نسيجها العمراني متضاما ومنضغطا (compact)، مما سهل حمايتها من الناحية الأمنية، كونها متركزة في رقعة واحدة داخل الأسوار، وبالتالي تسهيل تحصينها وحراستها بشكل أفضل. أما من الناحية المناخية فالتصاق المباني ببعضها قلل من تعرض أسطحها الخارجية للأشعة الشمسية وساعد على تظليل أجزاء أخرى من بعض المباني المجاورة لها، مما حد من الطاقة الحرارية المتسربة إلى داخل المبنى، كما أن لهذا النسيج العمراني دور آخر من الناحية الإجتماعية في الوصل بين الأهل والجيران بسبب تقارب المباني، مما ولّد حياة حميمية، كذلك من الناحية الدينية، نلاحظ أن مباني هذا النسيج ورغم اتصالها، قد راعت مبدأ الخصوصية، وذلك بفصل الحياة الخاصة عن العامة، حيث انتظمت وانفتحت فراغات مبانيها حول وسط الدار، كما فصلت عن الخارج بواسطة جدران خارجية صماء في معظمها، نظرا لتقديس الدين الإسلامي للحياة الخاصة.

6- المراجع المعتمدة في المحور الأول.

- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
- عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار الريحانة للنشر والتوزيع، 2002.
- عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989م.
- خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر العاصمة، 2010.
- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، قسنطينة.
- ارزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830)، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 2011.
- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965.
- وليام شالر، مذكرات وليام شالر (1816-1824) تعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية ومؤسساتها، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
- رتبح لونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، تونس، المغرب، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993.
- محمد الميلي، الجزائرفي مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث للطبع والنشر، قسنطينة، 1965.

- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،ط3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.
- فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.
- مؤيد محمد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني، المجلة الخامسة، العدد 16، 1434هـ/2013م.
- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830)، ط2، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- جمال الدين سهيل، ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن11هـ/17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد13، الجزائر، 2011.
- أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- نصر الدين براهامي، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، الجزائر، 2010.
- شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر(1827-1871)، المجلد 1، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، 2013.
- علي إبراهيم، جغرافية المدن دراسة منهجية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر، 2008.
- عزوق عبد الكريم، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية، ط1، إصدارات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015م.
- محند الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

المحور الثاني: العمارة الإسلامية ببلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط.

(المحاضرة رقم: 05 +06 +07 +08).

1- العمارة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي.

2- العمران والعمارة الإسلامية بالأندلس.

3- نشأة وتطور الطراز المغربي - الأندلسي.

1- العمارة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي:

1- 1- المساجد في المغرب الإسلامي:

يتميز المغرب الإسلامي بعمارة إسلامية فريدة من نوعها من خلال تطرقنا لعدد من المساجد الإسلامية المشيدة بها ونذكر منها:

1- 1- 1- مسجد بوفتاتة أو بوقطاطة 223هـ -226هـ/838م-841م:

يقع مسجد بوقتاتة أو بوقطاطة قريبا من باب سوسة الجنوبي وهو مسجد صغير تبلغ مساحته 13م × 10م، ويعتقد الدكتور أحمد فكري أن صحن هذا المسجد كان يحيط به من الشرق والغرب والشمال على غير النظام الذي تبدو عليه الجدران المحاطة به حاليا من الشرق ومن الشمال، لأن الكتابة الكوفية المسجلة على حجرة في إطار الذي يعلو الجدران الواجهة الشمالية للمسجد، كانت تمدد على الواجهة الغربية للمسجد إذ ما تزال بعض آثارها ظاهرة على هذه الواجهة، ونقرأ في بقايا النقش الكتابي الذي يعلو واجهات الجامع عبارة ابن ابراهيم الأغالب وتشير هذه العبارة إلى الأمير أبي عقال الأغالب ابن ابراهيم الذي تولى إمارة إفريقية بعد وفاة زيادة الله في سنة 223هـ، ولم يبق من الجامع سوى بيت الصلاة ورواق يمتد أمامه كان يطل على الصحن، ولعل كان الصحن للجنائز؛ شكل بيت الصلاة مربعا طول كل ضلع ينقص بقليل من ثمانية أمتار، ويشمل على ثلاثة بلاطات عمودية على جدار القبلة، وتنقسم هذه البلاطات إلى ثلاثة أساكيب تمتد بالجانب هذا الجدار، والمسجد بهذا الشكل يشبه من ناحية التخطيط الداخلي المسجد الجامع بسوسة 236هـ، ما يجعل هذا المسجد يتميز باستخدام الأقبية في تغطية على غرار قاعة الصلاة في الدور العلوي برباط سوسة المؤرخ 202هـ/821م، كما أن هذا المسجد يعتبر الثاني الذي أقيم في

إفريقية ومنه الأساسي الذي أنشأ على نمطه جامع سوسة المؤرخ سنة 236هـ/850موذلك من حيث:

–طريقة ارتكاز العقود على الدعامات متقاطعة متعامدة.

– الواجهة متوجة بكتابة أثرية بواسطة الخط الكوفي.

– تشابه طريقة التسقيف قاعة بيت الصلاة.

– يعتبر مسجد أبي قطاطة الأول من نوعه من حيث طريقة التسقيف بالأقبية النصف الأسطوانية في المغرب الإسلامي، ضف إلى ذلك إلى الدعامات المتعامدة التي تحمل عقود منخفضة عرضيا وطوليا.

– يعد المسجد أبي قطاطة على ذكر بعض الأثريين أنه أول مسجد في المغرب الإسلامي يحوي على كتابة أثرية بعد القبة الصخرة بالقدس الشريفة، ما يجعل هذه الكتابة عنصرا معماريا وزخرفيا متكاملا.

– يعد مسجد أبي قطاطة الأول من نوعه الذي يحوي على السقيفة التي تتقدم المدخل، ولعل الوحيد التالي له هو مسجد صالح الطلائع بالقاهرة المؤرخ سنة 555هـ/ 1160م.

1– 1– 2– المسجد الجامع بمدينة القيروان:

نعرف أن الفسطاط هي ثالث مدينة أحدثت في الإسلام بعد البصرة والكوفة، وكانت القيروان رابع مدينة أنشئت في الإسلام، فقد بدأ عقبة بن نافع البناء سنة 50هـ الموافق لـ670م، وانتهى من البناء بعد ذلك بخمس سنوات، وكان أول مخططها هو الجامع، ولقد ألقت الأبحاث التي أجرها الدكتور أحمد فكري في المسجد من سنة 1931م إلى سنة 1934م، إلا أن في سنة 1936م قد أجمع المؤرخون أن محراب مسجد عقبة بن نافع الذي ركز لوائه في موضعه سنة 50هـ مازال باقيا بتقريب إلى غاية سنة 1936م، وإن كانت قد ألصقت حوله كسوة من الرخام المخرم المحلي بزخارف بديعة أخفت من ورائها معالم المحراب العتيق في عهد زيادة الله سنة 221هـ/836م، وهذا يرجع إلى عقبة بن نافع من عناصر تخطيط الجامع موضع المحراب وتخطيط جدار القبلة؛ كما أكدت أبحاث الدكتور أحمد فكري أن المسجد الجامع بالقيروان في 105هـ/723م أيام هشام بن عبد الملك يمثل نفس المساحة التي يمثلها سنة 1936م على حد قول بعض الكتاب: " من جدار القبلة إلى

المئذنة كانت ظلة القبلة تشمل على 18 رواق يحدها صفوف من البوائك وكل بائكة تتكون من 7 أعمدة"، والظاهر أن هذه الظلة تمت بمرحلتين وهما:

-المرحلة الأولى: كانت في عهد حسان بن نعمان 80هـ/664م كانت بائكة تتكون من 4 أساكيب فقط.

-المرحلة الثانية: أضيفت فيها 3 أساكيب أخرى إلى كل صف من صفوف البوائك، فأصبحت كل بائكة تتكون من 7 أعمدة، وهذه تعتبر مرحلة هشام بن عبد الملك 105هـ/723م.

يبلغ عرض الأروقة أربعة أمتار وربع، أما رواق المحراب فهو أكثر سعة إذ يبلغ عرضه خمسة أمتار ونصف، ويحد هذا الرواق صف من العقود موازيا لجدار القبلة، فقد كانت الأعمدة تحمل صفوفا من العقود وامتد باتجاه عمودي على هذا الجدار، ولكن هذه الصفوف لا تصل إلى جدار القبلة ولا تخترق رواق المحراب بل كانت تبدأ من هذا الرواق وتنتهي عند الصحن، وكان صحن المسجد الجامع يقرب طوله 90م ويزيد عرضه عن 70م وتتوسطه المئذنة في جدار مؤخر المسجد، ولكنها لا تقع في منتصفه بل هي أقرب إلى شرقه منها إلى غربه(الباب يكون على محور بيت الصلاة والمحراب)، وقد تغير تخطيط المسجد في عهد زيادة الله في سنة 221هـ/836م وعلى الأصح تغير تخطيط رواق المحراب، فقد أقام زيادة الله محراب جديد أو كسيه بالرخام، وشيد في موقعه قبة عظيمة، وأزال صفا من البوائك التي كانت تتوسط ظلة القبلة أمام المحراب، وجعل من الرواقين رواق واحد واسع، وأضف لبيت الصلاة رواق هذا من جانب ومن جانب آخر، فقد أضاف زيادة الله إلى بيت الصلاة صفا من عمودين متجاورين يطلان على الصحن، فأصبحت كل بائكة تتكون من 8 عقود بدلا من 7 عقود، واتخذ جامع القيروان الصورة الأخيرة في عهد إبراهيم بن أحمد 261هـ/875م إذ أضيفت إلى الصحن ظلات جانبية وبكل منها رواقين، وأقيمت قبة البهو على نهاية بلاطة المحراب (المجاز القاطع أو البلاطة المستعرضة).

- مئذنة المسجد الجامع بمدينة القيروان:

تعتبر مئذنة المسجد الجامع بمدينة القيروان من أقدم المآذن بالمغرب الإسلامي، ويتضح ذلك في تأثير الأبراج والصوامع السابقة للإسلام، وتنسب المئذنة إلى عمل الوالي بشر بن

صفوان 105هـ-109هـ/724م-729م على أساس الأدلة التاريخية، أو إلى سنة 221هـ/836م على أساس الأدلة الأثرية المعمارية، وفي الطرح الأول تعد أقدم مثل باقي المآذن، وفي الطرح الثاني تعد ثاني الأمثلة الباقية إذ تسبقها منارة قصر الحير الشرقي في منطقة الشام التي تؤرخ في حوالي سنة 110هـ/730م، ومهما يكن من الأمر فإننا نجد مئذنة جامع القيروان تتميز بخصائص إسلامية من ناحية التكوين المعماري وأسلوب البناء، وليس فيها شيء يمكن تميز نسبه إلى طراز معين سابق عن الإسلام، إلا عنصر واحد يتمثل في عقد حدوة الفرس، وتلك الخصائص الإسلامية الواضحة تقلب نظرية اقتباس المآذن من مصادر سابقة للإسلام رأسا على عقب، ذلك أنه ليس هناك أية صلة بين التكوين المعماري لمئذنة القيروان وتفاصيلها بين الصوامع القديمة في العهد الروماني، وفي جامع دمشق الموجودة في أركانه ولا غيرها من الأبراج السابقة في التاريخ، أما أن تكون مئذنة المسجد الجامع بالقيروان ومئذنة الشام قد تأثرت بأبراج الكنائس، فهو قول لا يقوم على أساس سليم ذلك أن المآذن أو المنارات المبكرة في العالم الإسلامي الذي يرجع نسبتها إلى ما يعاصر فترة حكم الولاة في مصر من 21هـ-358هـ/672م-969م، هذه المآذن والمنارات ترتفع من مستوى الأرض في تكوين معماري مترابط يكاديكون منفصل عن المسجد، ولا يتصل به في بعض الأحيان أو يتصل به بواسطة الجدران الخارجية في بعض الأحيان الأخرى، بينما البرج في الكنيسة يعد عنصرا جوهريا ضمن الوحدات التكوينية المعمارية كله في شكل كتلة معمارية موحدة أو عامة.

1- 1- 3- المسجد الجامع بمدينة قلعة بني حماد:

أسس بنو حماد عديدة مساجد ببجاية وملالة وقسنطينة وقلعة بني حماد، وهاتيه الأخيرة أسس مسجدا جامعا، والذي يحتفظ بقواعد جدرانه ودعائمه ومئذنته، فهو على شكل مستطيل طوله 63.20م وعرضه 53.20م، يحيط به جدار سمكه 1.50م، يحتوي على دعامات مستطيلة من الخارج طولها 1.80م وعرضها 1.30م، وبيت الصلاة المسجد الجامع مستطيلة الشكل ذات طول 53.20م وعرض 34.20م، تحتوي على 13 أسكوب و8 بلاطات، وفي بيت الصلاة يوجد بناء أو جدار يحيط بمحراب يضم 5 أساكيب و 4 بلاطات، وهذا البناء ليس بم ليس بمقصورة كما ذهب إليه جورج مارسيل، إنما يعتبر مسجد

صغير داخل بيت الصلاة بعدما رحل بنو حماد إلى بجاية، وقلة عدد سكان قلعة بني حماد بحسب ما ذهب إليه الأستاذ بورويبة، أما صحن المسجد الجامع فيبلغ طوله 53.20م وعرضه 26.90م، وهو فاصلا عن بيت الصلاة بجدار ذو ثلاثة أبواب مفتوحة في السور الذي يحيط به، أحداها شرقي وثاني غربي وثالث من الجهة الشمالية، وهذا الباب الأخير يؤدي بدوره إلى سلم عدد أدراجه تسعة علما أنه مسدود حاليا؛ وفي الفترة التي أجريت الحفريات سنة 1977م فقد كان الصحن به بلاط أبيض في أرضياته ومحاط برواق وفي وسطه بئرا يبلغ عمقه 11.5م وارتفاعه الداخلي 2.80م مسقفا بعقد مكسور لم يبق منه إلا جزء صغير؛ ومن النتائج المتوصل إليها في الحفريات المقامة من طرف الدكتور رشيد بورويبة العثور في بيت الصلاة على دنانير ودراهم موحدية وحلي هذا من جانب ومن جانب آخر تم العثور في الصحن على قاعة طولها 6.40م وعرضها 3.40م مبلاطة بالحجارة ومقسمة إلى قسمين بواسطة قوس نصف دائري، ويمكن أن تكون هذه القاعة قد استعملت كمكتبة، بالإضافة تم العثور على حجرة في الركن الشمالي والتي تكون ميضأة هذا من جهة ومن جهة أخرى، فقد تم العثور كذلك على عديدة أعمدة وتيجان، وفي وسط الجدار الشمالي للصحن نجد المئذنة أو الصومعة التي تعتبر من أقدم المآذن الجزائرية، وقد بنيت بالحجارة وتتكون من طابق واحد، بالإضافة إلى جوسق الذي تهدم أو اندثار ويبلغ ارتفاعها 24.70م.

- مئذنة المسجد الجامع بمدينة قلعة بني حماد:

مئذنة المسجد الجامع بمدينة قلعة بني حماد ذات قاعدة مربعة طول ضلعها 6.50م، يصل إليها عن طريق باب عرضه 2.40م يؤدي إلى سلم يدور حول نواة مركزية مربعة ضلعها 1.50م،وعدد أدراج السلم 127 درجة وعرضها كل واحدة منها 1.10م، وتمتاز مئذنة القلعة بزخارف التي تزين الواجهة الجنوبية، والتي تنقسم إلى 3 أجزاء بها تجويفات في الجزء الوسطي، ونرى من أسفل المئذنة إلى أعلها بابا مستطيلا ارتفاعه 2.70م، فوقه سكفا (العتب) مصنوع من الخشب العرعر وعقد نصف دائري من الآجر كان موضعا على عمودين، على الأيمن والأيسر للباب نجد إفريز يبلغ طوله 0.94م وعرضه 0.40م، ومزخرف بزخارف نباتية وهندسية، وفوق الإفريز نجد جزء قوس مفصص ثم قوس نصف دائرية فوقها قوس منحنية ونافذة يبلغ ارتفاعها 3.10م وعرضها 1.55م جزؤها العلوي على

شكل نصف دائري، ضف إلى ذلك نافذة أخرى تساويها في الشكل والعرض أما ارتفاعها يختلف وهو 2.27م هذا من جانب ومن جانب آخر، نجد ثلاث أقواس نصف دائرية هذا ما يتعلق بالتجويف الأوسط، أما التجويفان الجانبيان فكل واحد منهما مزين بحنية نصف دائرية متوجة بقبة نصف دائرية من الجص على شكل صدفة مثل الحنيات التي تزخرف برج المنار؛ تعلوها حنيات أخرى توضع واحدة فوق الأخرى ومزينة بالآجر والخزف، تلك هي الزخارف التي تزين الواجهة الجنوبية للمئذنة القلعة، أما الجوانب الأخرى لا نرى فيها إلا نوافذ ضيقة وغير مزخرفة، ولكن نتسأل كيف كانت في عهد بني حماد؟ هل كانت تشمل على 3 طوابق مثل مئذنتين القيروان أو صفاقس، أو على طابقين مثل الزيتونة، بحيث نلاحظ أن الطرح الثاني هو الأقرب من الأول، وأن المئذنة أثرت في المآذن الموحدية وخاصة في مئذنة إشبيلية التي لها زخارف منظمة حسب ثلاث أجزاء مجوفة.

1-2- الأربطة في المغرب الإسلامي:

الأربطة في أصلها هي منشآت دينية وعسكرية يقيم بها المحاربون لتعابد والاستعداد للجهاد في سبيل الله، واشتق اسمها من القرآن الكريم وذلك بقول الله تعالى: " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل" سورة الأنفال الآية رقم: 59، وقوله كذلك: " يأيها الذين آمنوا صبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" سورة آل عمران الآية رقم: 200، ومع مرور الزمن صار الرباط مجرد مؤوى يقيم فيه المنقطعون عن العبادة، ومن الأربطة ما كان يخصص للنساء، فكان بمثابة دار الكفالة للمرآة، حيث كان يقيم فيه البنات اليتامى والأرامي والمطلقات لا عائلة لهنا، وكانت الأربطة تشييد في حدود الدولة الإسلامية وشاع إنشائها في المغرب الإسلامي في القرنين الثاني والثالث هجري الموافق للثامن والتاسع ميلادي، وذلك لحماية البلاد من المهاجمين بحرا، كما أقيمت الأربطة أيضا في الصحراء، ومنها نشأت دعوة المرابطين الذين سيطروا على المغرب الإسلامي والأندلس في القرن الخامس هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي، وكان تخطيط الأربطة في كثير من الأحيان على شكل مستطيل يتألف من مدخل رئيس واحد يفضي منه إلى صحن وسطي بجانبه القبلي مصلى أما الجوانب الأخرى فكانت تشمل على قاعات يقيم فيها المرابطون، وكان في أركانها أبراج للمراقبة؛ ومن أهم الأربطة التي وصلت آثارها نذكر رباط منستير ورباط سوسة بتونس، لقد

اهتم أمراء بن الأغالبة بتحصين افريقية فيذكر ابن خلدون أن أبو إبراهيم أحمد بنى بإفريقية نحو عشرة ألاف من الحصون بالحجارة والكلس وأبواب حديدية، وتتضمن هذه الروية مبالغة بالغة ولكن النص على حال يكشف لنا اهتمام هذا الأمير بتحصين البلاد، وقد يكون المقصود ببناء هذه الحصون ترميم لسلسلة التحصينات التي كانت قد أقامها البيزنطيون على عجلة في الصحراء ابتداء من طرابلس شرقا حتى نوميديا غربا، وكانت هذه التحصينات على غرار القلاع والأبراج تكاد تكون منفصلة، ومن بينها نذكر قلعة جلولاء الواقعة على بعد 30كلم إلى شمال غربي القيروان، والقلعة القصريين التي لعبت دورا هاما على الحدود الغربية للدولة الأغالبة، وقلعة بلزمة بباتنة التي افتتحها أبو عبد الله الشيعي وخربها في نفس الوقت، كما ذكر لنا البكري قصر قديم أو قلعة بغاية بخنشلة التي ظلت قائمة حتى هدمها أبو عبد الله الشيعي؛ ومن قلع إفريقية في عصر الأغالبة نذكر قلعة طبنة التي بناها أحد أمراء الدولة الأغالبة، وقصبة مقرة بمسيلة التي شيدها يعقوبي؛ كما اهتم الأغالبة بتحصين السواحل خوفا من غزو الروم لها وأعظم الحصون والأربطة على سواحل البحر حتى كانت توقد النار في ساحل سبتة للنذر بالعدو، وقد أشار اليعقوبي في كتابه البلدان من صفاقس إلى بن زرت ثمانية أيام، وفي جميع المداخل حصون متقاربة ينزلها العباد والمرابطون؛ ونتطرق بالدراسة للرباط سوسة فيما يلي:

1-2-1- رباط سوسة 206هـ/821م:

يقع رباط سوسة على خليج قابس ويعرف محليا بقصر الرباط وهو حصن مربع الشكل كل ضلع من أضلاعه ذات مقاسات تقدر بحوالي 6.5م، وبه ثمانية أبراج واحد في كل منتصف الضلع وواحد في كل ركن من أركان الرباط، وهذه الأبراج على شكل ثلاثة أرابع دائرة ما عدا برجي المدخل في الجدار الجنوبي والركن الجنوبي الشرقي اللذين على شكل قريب إلى المستطيل، وقد استخدام هذا البرج كقاعدة للمنار؛ ورباط من الداخل حيث يفضي إليه من خلال المدخل الموجود بمنتصف الجدار الجنوبي الذي يبرز بحوالي 3.17م، ثم نلاحظ هناك هبوط حوالي 2.80م بواسطة سلم نصفه تقريبا ينتهي إلى جزء مضاهي نصل إلى النهاية السفلية، نجد أمامنا مدخل بعتبة وعقد وهو يفتح على ممر مكون من ثلاثة بائكات، يكتنف الأولى من جانبيه غرف مخططة بأقبية نصف أسطوانية للحرس،

بينما الثانية والثلاثة يكتفنهما كل واحدة منها من الجهتين دهلز مخططة بأقبية، ويصل هذا الممر إلى فناء أوسط مستطيل الشكل طوله 20.41م وعرضه 19.21م، يحيط به من الجهات الثلاثة الشمالية والشرقية والغربية سقائف ذات عقود محمولة على دعامات، وكل منها مخططة بأقبية نصف أسطوانية، ما عدا من الجهتين الشمالية والشرقية فهما مخططتين بأقبية متقاطعة، ويرجع السبب إلى تجديد هذا الجزء، ويوجد خلف كل سقيفة غرف مستطيلة مخططة بأقبية أسطوانية، وهذه الغرف ليست لها نوافذ إلى الخارج بل أبواب تفتح على السقائف إلا غرفتين في الجانبين الشمالي الشرقي والشمالي الغربي فإنهما تفتحان على الغرف المجاورة، ويبلغ مجموع الغرف في الطابق السفلي 34 غرفة وعرضها تتراوح ما بين 2.18م إلى 2.90م، واثنين منهما في الجهة الغربية على اتصال مع بعضهما استخدمتا كميضأة ودورة المياه، يعلو هذه الغرف في الطابق العلوي غرف ممثلة في كل الجهات، بينما أصبحت المساحة التي تعلو السقائف شرفات الغرف ويصل إليها الإنسان بدرجتين يبدأن من مستوى الفناء الأوسط. ومصلى الرباط يقع في الجانب الجنوبي وهو عبارة عن قاعة مستطيلة تتكون من احدى عشر بلاطة، بها بائكتان كل بائكة تتكون من عقدين موازية لجدار القبلة، وشكل العقود نصف دائرية تقريبا، مرتكزة على دعامات غير مزخرفة، وللمصلى خمسة أبواب ومحرابه في غاية البساطة وهو من بين التصميم الفريدة من نوعها في المغرب الإسلامي على غرار ما نجده بمسجد أبي فتاتة بسوسة 223هـ-226هـ/838م-841م؛ يقع المنار في الركن الجنوبي الشرقي فوق أرضية تعلو بمقدار 17.5سم عن باقي السطح، وهو متوج بجوسق صغير مربع الشكل لإعطاء الشارات الضوئية، ويقوم المنار بوظيفتين مهمتين الأولى إعلان وقت الصلاة والثانية إعطاء الشارات الضوئية؛ ويلاحظ أن البرج الأسطواني غير مغطى بقبة ويعلو مدخله بلاطة من الرخام بها كتابة تأسيسية تدل على أن هذا الأثر يعود لزيادة الله ابن إبراهيم والمؤرخ في 206هـ/821م؛ ووظيفة الرباط تكمن في الدفاع عن المدينة من الغارات الهجومية من الروم مثلا أو من أعداء الإسلام، وكان يقيموا فيه المتطوعون للدفاع عن البلاد الإسلامية.

2- العمران والعمارة الإسلامية بالأندلس:

2-1-نبذة تاريخية عن فتح الأندلس:

فتحت بلاد الأندلس في عصر متأخر وكان ذلك في عصر الوليد بن عبد المالك سنة 93هـ، ورغم حداثة عهدها بالفتح فقد بدأت تعبر عن شخصيتها الاسلامية مبكرا وقد نجحت الفتوحات الإسلامية بها لسببين رئيسيين ألا وهما:

- كان حكم القوط الغربية حكما أجنبيا مفروضا له مظهره العسكري والديني، حيث كان تعظم نفوذ الكنيسة وتسلط رجال الدين، واستحواذهم على قدر كبير من الأراضي الزراعية وإعفائهم من دفع الضرائب، وكذلك انقسام المجتمع إلى طبقات متمايزة تتصدها الطبقة العليا من النبلاء ورجال الدين بكل المميزات السياسية والاقتصادية، أما الطبقات الأخرى فقد كانت تضم معظم الشعب من التجار والزراع والعبيد المعروفين بالأقنان، كلهم كانوا تحت عبء دفع الضرائب والعمل المرهق لإشباع الحاكمين عليهم.

- والسبب الثاني والأهم هو عنصر الهجرة الذي كان له دور فعال في نشر الإسلام بالأندلس، فقد تم فتحها من طرف أهل إفريقية على غرار البربر منهم، وهاتيه الهجرات الجماعية من بلاد المغرب الإسلامي إلى الأندلس كان بحكم القرب، حيث لا تكاد تكون مدينة أندلسية إلا وفيها المهاجرون من أهل بلاد المغرب الإسلامي، وقد اختلطوا بالسكان الأصلين وتزوجوا منهم.

استطاع عبد الرحمن ابن معاوية أمير أموي أن يصل إلى الأندلس ويؤسس إمارة مستقيلة، والتي لقيت تأييدا من السكان الراغبين في الاستقلال، وهذا الأمر الذي مكنها من الصمود في وجه بعد محاولة عدة من الدولة العباسية للقضاء عليها؛ وقد ظلت بلاد الأندلس مستقيلة تحت حكم الأمراء من بني أمية حتى سنة 316هـ، وفي هذه السنة قام الأمير عبد الرحمن الأموي الملقب بالناصر بإعلان الخلافة الأموية بالأندلس، وظلت حتى حوالي نهاية الربع الأول من القرن 5هـ، وكان سقوطها مقدمة لظهور المغاربة في تاريخ الإسلام في هذا الجزء الغربي الإسلامي، وبعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس في سنة 422هـ استقل كل أمير بمقاطعته، لتكّون فيها نحو 20 مدينة أو مقاطعة، ويسمى هؤلاء بملوك الطوائف، وقد أدت هذه الملوك إلى صعف الأندلس وعجزها عن الصمود أمام الممالك المسيحية، التي أخذت

تتوحد في شمال إسبانيا وتزحف نحو الجنوب، الأمر الذي جعل بالمعتمد بن عباد الملك بإشبيلية إلى الاستعانة بالمرابطين، فاقتحموا المجال الأندلسي وقهروا المسيحين في موقعة الزلاقة سنة 479هـ/1086م، ثم قضوا على ملوك الطوائف ووحدوا الأندلس، لكنهم ما لبثوا أن خرجوا من البلاد التي عادت إلى حالتها من التشتت والضعف، الأمر الذي جعل الموحدين في المغرب الإسلامي وهم الذين ورثوا ملك المرابطين، حيث يوجهون إليها جيوشهم فيهزمون الإسبان هزيمة كبيرة في موقعة الأرك سنة 591هـ/1195م، لكنهم ما لبثوا أن هزموا في موقعة العقاب سنة 609هـ/1212م أمام الإسبان الذين دعوا لحروب صليبية تجمع لها المتطوعون من فرنسا وألمانيا وانجلترا وايطاليا، واضطروا في آخر الأمر بالخروج من الأندلس بحيث تقلص ملكها حتى انحصر في مقاطعة غرناطة، وقد استمر الصراع بين الصليبين والموحدين من 630هـ إلى 897هـ بحيث سقطت وزال المسلمين من الأندلس؛ لقد أدت الدولة الأموية في الأندلس دورا في الناحيتين السياسية والحضارية، وأهم دور قاموا به من الناحية السياسية هو أنهم ظهروا في وقت هام، وهو ظهور الامارات المسيحية في الأندلس وسعيها نحو طرد المسلمين منها، وكان لظهور الدولة الأموية تأجيلا لذلك إلى غاية 897هـ وهي سنة سقوط غرناطة؛ كما كان للأمويين في إسبانيا دورهم في التاريخ الثقافي، حيث ظهرت الثقافة الإسلامية في مدن الأندلس مثل قرطبة وطليطلة وإشبيلية وغرناطة، إذ بلغت أوجا كبيرا من التقدم هذا من جانب ومن جانب آخر، ظهور الفن الإسلامي بالأندلس في عصر الإمارة واستمر على طول التاريخ الأندلسي.

2-2- المدن الإسلامية بالأندلس:

ظهرت الثقافة الإسلامية في المدن الإسلامية في ظل حكم الأمويين الذين كان دورهم فعلا في التاريخ الثقافي بهذه المدن، على غرار قرطبة وطليطلة وغيرها، حيث بلغت أوجا كبيرا من التقدم، والتي نذكر منها:

2-2-1- مدينة قرطبة:

تمتد مدينة قرطبة على سهل فسيح بين سفح جبل العروس من جبال سييرامورينا والوادي الكبير الذي يجري فيه نهر والذي أقيمت عليه قنطرة، ويعود تاريخ قرطبة بتسلسل عدة حقبات تاريخية بدءً من حقبة ما قبل التاريخ مرورا بالحقبة القديمة وصولا إلى الحقبة

الإسلامية، حيث كان فتحها الإسلامي لها عام 93هـ/811م، علما أن مدينة قرطبة كانت مقسمة إلى قسمين: المدينة القديمة (القصبة) والأرباض، فالأولى هي التي اتخذها المسلمين دارا للإمارة فنمت وتطورت وشيد بها جامعا على جزء من الكنيسة، وأقاموا الأسواق والقيسارية والحمامات هذا من جانب ومن جانب آخر كانت مدينة قرطبة مركزا للحياة السياسية والاقتصادية؛ أما القسم الثاني منها المتمثل في الأرباض كانت عبارة عن أحياء سكنية والتي بلغ عددها 21 ربضا؛ أما من الناحية العمائر العسكرية فإن المدينة القديمة قد أحاطت بالسور خارجي منذ العهد الروماني، حيث تعرض بعض أجزائه للهدم فأعيد بناؤه سنة 766م من اللبن، أما الأرباض فلم يكن يحيطها سور في الأصل إلا بعدما أن قامت الفتنة فبنيت الأسوار حولها وشقت الخنادق، ولهذا ذهب بعض الرحالة بالقول أن مدينة قرطبة تأسست على خمس مرات؛ وبعد الأسوار المحيطة بها تأتي دور الأبواب المفتوحة خارجيا، حيث كان لمدينة قرطبة سبعة أبواب أحدها يفتح مباشرة على القنطرة والأخرى على الطرق الرئيسية لها هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن شبكة الطرق داخل المدينة مكونة من طريق رئيسي معروف بالمحجة العظمى، وهو يمتد من باب القنطرة قيمر بدار الإمارة والمسجد الجامع ثم يسير لباب خارجي آخر، وكان يرتبط به ثلاثة طرق رئيسية أخرى تتفرع عنها جميعا شبكة من الدروب الضيقة والأزقة، علما أن الطرق في المدن الإسلامية الأندلسية تضاء ليلا بواسطة وضع الفوانيس في أماكن محددة؛ عندما كثرت الفتن حفرت خندقا حولها من ثلاث جهات أما الجهة الرابعة فكان النهر للمدينة قرطبة بمثابة خندق طبيعي.

2-2-2- مدينة ألمرية:

أنشأ مدينة ألمرية الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله عام 344هـ/955م على ساحل الجنوب الشرقي قريبا من بجانة التي كانت في الأصل قرية يعمرها المسلمون لتتطور وتصبح مدينة، لقد توطين بألمرية أسر إسلامية في ظل حكم أمراء بني أمية، حيث رأوا هؤلاء الأمراء من المنطقة للحماية الأندلس من الغارات الساحلية، وقد شيدت ألمرية كموقع دفاعي على منطقة ممتدة من جبل القصبة شمالا وبين ساحل البحر جنوبا وامتد على شرقها وغربها واديان (بمثابة خندقين)، ومن الواضح من تخطيطها التحصين الطبيعي،

وكان الاتجاه الوحيد لتوسع المدينة إلى الشرق والغرب حيث أقم لكل منهما بسور هذا من جانب ومن جانب آخر، شيدت القصبة في الجهة الشمالية للمدينة ككل على هضبة تمتد من الشرق إلى الغرب وهي حصن منيع لها بابان يؤديان إلى المدينة، وفي القصبة نجد جامعا وقصرا وبعض المنشآت الدفاعية على غرار الأبراج، اتخذت مدينة ألمرية الشكل المستطيل تقريبا حيث أقيما المسجد الجامع في وسطها، وتوزعت حوله الفنادق والحمامات والمساكن والأسواق والقيسارية، في الحين تخطيط شوارع مدينة ألمرية يقوم على وجود طريق رئيسي فسيح يخترقها من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي متصلا بالأبواب والساحة العامة للجامع، والتي تتفرع إلى شبكة من الدروب والأزقة غير النافذة.

2-2-3- مدينة غرناطة:

عند الفتح الإسلامي للأندلس كانت غرناطة عبارة عن مدينة صغيرة تابعة لولاية إلبيرة، وفي ظل الدولة الأموية انهارت وتعرضت إلبيرة للتخريب في أوائل القرن الخامس هجري حتى حلت مكانها مدينة غرناطة، وهذه الأخيرة واقعة في واد عميق المنحدر يمتد من الشمال الشرقي منها لجبال سييرانيفادا، تعلوها الغابات من الشرق والجنوب، ويحدها نهر شنيل من الجنوب متفرعا من الوادي الكبير ويخترق المدينة فرع هذا النهر؛ ومن حيث الشكل العام فإن مدينة غرناطة هي شبيهة إلى حد قريب مدينة قرطبة حيث مجرى مائي يقسمها إلى قسمين، على أن مدينة غرناطة فيها حوالي سبعة قناطر توصل بين القسمين، كما هي مسورة بأكثر من سور ولها العديد من الأبواب والقلاع العالية، فقد عاشت في زمن غير مستقر معرضة لغزو الممالك النصرانية، لاسيما الملكين الكاثوليكيين في أواخر أيامها هذا من جانب ومن جانب آخر، نجد بعض الأرباض مسورة داخل المدينة مثل غرناطة اليهود وربض الفخارين مثلا؛ لمدينة غرناطة قصبتين قديمة وجديدة إذ الثانية ما هي إلا امتداد للأولى وكان لكل واحد منهما سور، ومن هنا نقول أن مدينة غرناطة شهدت توسعا على مدى 250 عاما قبل سقوطها.

2-2-4- مدينة الزهراء:

بنى مدينة الزهراء الخليفة الناصر وقد نسبت تسميتها إلى القصور الزاهرة التي أسسها الخليفة في هذه المدينة أو نسبة إلى الأزهار التي تعم كل المدينة، وقد بنيت على

سفل جبل العروس (جبل قرطبة)، أقام فيها القصر الخلافي والذي عرف بالمجلس الزاهر، حيث ذكر أن القصر اتخذ قبة قراميدها من الذهب والفضة وجعل في وسطه صهريجا كبيرا مملوءا بالزئبق، إذ سطعت عليه أشعة الشمس أحدثت نورا وبريقا يخطف الأبصار حتى يخيل للناظر أن المجلس يتحرك، وبني بالمدينة الأسواق والحمامات والمنتزهات وشجع الناس على السكن فيها.

2-3- العمائر الإسلامية بالأندلس:

2-3-1- جامع مدينة قرطبة:

يعد جامع قرطبة من أعظم العمائر المعمارية في القرون الوسطى، وقد شيده على مراحل متعاقبة عليها ثمانية من الأمراء والخلفاء، وكان البدء في بنائه عام 169هـ/785م، وقد تم توسيعه عدة مرات بسبب تزايد عدد سكان المدينة، وآخرها كان سنة 377هـ/987م من قبل المنصور بن أبي عامر؛ وقال عليه شارلكان بعد هدم جزء منه وإقامة كنيسة مكانه إثر سقوط مدينة قرطبة سنة 1236م: "لو كنت قد علمت بما وصل إليه ذلك لما كنت قد سمحت بأن يمس البناء القديم، لأن ما بنيتموه موجود في كل مكان، وما هدمتموه فريد في العالم أجمع".

2-3-2- القصور:

عند فتح المسلمون الأندلس نزل قادتهم بقصور كانت موجودة في المدن، على غرار قصر الإمارة بقرطبة الذي نزل به عبد الرحمن الداخل، علما أن هذا القصر قد أدخلت عليه الكثير من الإضافات والزيادات، وأصبح يعرف بالقصر الخلافي، حيث يطل القصر على نهر الوادي الكبير والربض الجنوبي من قرطبة كان له عدة أبواب، بالإضافة إلى هذا القصر نجد قصور أخرى على غرار قصر الرصافة وهو قصر للتنزه والسكن، وقصر الدمشق.

2-4- الخصائص العمرانية للمدن الأندلسية:

تتميز المدن الأندلسية الاسلامية بخصائص ومميزات عامة من الشكل والتكوين العمراني، ومنها ما يشابه المدن المشرقية، إلا أنه يكمن الاختلاف في الخصائص الجغرافية والظروف المناخية وكذا التنوع السكاني والتلاقح الثقافي، ونذكر من الخصائص ما يلي:

– توسعت المدن الأندلسية حول المدن القوطية التي وجدت عند الفتح، حيث كانت عموما في حالة من التدهور، فأصبحت المدن القوطية نواة المدن الإسلامية بالأندلس، والتي يتوسطها مرافق دينية على غرار الجامع الكبير، والسياسية الإدارية بوجود دار الإمارة، والنشاطات التجارية على غرار الأسواق علما أن المدن التي أحدثها المسلمون كانت متشابهة من حيث الشكل العام والتخطيط.

– تتكون شبكة الطرق في المدن الأندلسية الاسلامية من طريق رئيسي عام أو طريقين على الأكثر، وهي تؤدي من أحد الأبواب الرئيسية إلى ساحة المدينة، لتمتد عبرها في اتجاه آخر إلى أحد الأبواب الرئيسية، وتلتقي الأزقة والدروب، وربما توصلت فيما بينها بالطريق الرئيسي، وقد كانت الكثير من الأزقة المتعرجة غير نافذة دائما، علما أن المسلمين الفاتحين للأندلس قد نزلوا في بلد ذي إرث حضاري روماني، حيث كانت شبكة الطرق في مدنها مستقيمة إلا أنهم لم يأخذوا بهذا التخطيط.

– كانت الأسواق مقسمة إلى وحدات كل منها يعرض بتداول سلعة معينة أو مجموعة من السلع التي تتقارب طبيعتها، فنجد العطارين بمنطقة واحدة وهكذا، فيما يخص الصناعات فبعضها كان داخل المدينة وأخرى خارجها كصناعة الآجر والطوب.

– المساكن بالمدن الأندلسية لا نجدها أكثر من طابقين وقد غلب استخدام الآجر في بنائها، ونموذج المنزل الأندلسي عبارة عن طابق في وسطه أو جانبه فناء والغرف حوله، وربما يقيم طابق ثان التي يوصل إليه عن طريق سلم من الفناء، كما أن هذا الأخير يمكن أن تتوسطه بركة صغيرة وحوله الأشجار.

– لقد اعتنى الأندلسيون بالمنتزهات وسموها بجنات وكان أغلبها خارج المدينة بعضها خاص والبعض الآخر عام.

– لقد اهتمت المدن الأندلسية الإسلامية ببناء الحمامات العامة اهتماما كبيرا، حيث كان شكلها المعماري بسيطة للغاية بالمقارنة مع الحمامات الرومانية، مما يدل على أن الحمام الأندلسي كان في الأصل لأغراض النظافة والطهارة.

3- نشأة وتطور الطراز المغربي – الأندلسي:

في البدء الأمر كان الطراز الأموي هو من أبرز سمات الفن الأندلسي حيث برع الأمويون في شتى الفنون كفن النحت على الخشب ما جعل مدن الأندلس منارة للعلم والحضارة؛ والطراز المغربي الأندلسي هو مزيج من فن المغاربة والأندلسيين ويشمل الفنون الإسلامية التي ازدهرت في الأندلس ومراكش والجزائر وتونس فيما بين 479-898هـ/1086م-1492م، فإن ضم المرابطين للأندلس سهل على الفن الأندلسي أن ينفذ إلى المغرب وأن يؤثر فيه، كما أن اتساع فتوح الموحدين قد أخضع الفن الأندلسي المغربي لمؤثرات جديدة أتته من القيروان وقلعة بني حماد التي نلاحظ في فنها المعماري تأثيرات عراقية ومصرية، وقد بقي الطراز الأندلسي المغربي حتى سقوط بني الأحمر في غرناطة وذهاب ملوك المسلمين في الأندلس؛ ومن مميزات الطراز الأندلسي المغربي استخدام نوع من العقود على هيئة حدوة الفرس، واستخدام الدعائم المبنية من الآجر عوضا عن الأعمدة واستعمال الفسيفساء من الخزف في تغطية الجدران والاسراف في الزخارف المحفورة على الجص، وتتجلى ذلك في المساجد والأضرحة وفي القصور كقصر الحمراء، كما امتاز هذا الطراز بكثرة أبنية المدارس والتي أدخلها سلاطين الموحدين؛ كما تميز الطراز المغربي الأندلسي باتساع بيوت الصلاة بالمساجد وكثرة الأعمدة الرخامية التي تحمل الأسقف هذا من جانب ومن جانب آخر تميزت بالتفنن في هيئات المحاريب واتجاهها إلى التوسع، كما استعملت الأقواس المدببة وأقواس حذوة الحصان والسقوف الخشبية المزخرفة، ضف إلى ذلك مئذنة تكون ضخمة مثل البرج والاهتمام بزينة الجدران بالقشاني والفسيفساء.

4- قائمة المراجع المعتمدة في المحور الثاني:

- حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، الطبعة الخامسة، طبع ونشر لدار الفكر العربي، القاهرة، د.س.
- حمزة اسماعيل الحداد محمد، القباب في العمارة العربية الإسلامية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للطباعة والنشر، مصر، 1993م.
- عبد الغني محمد إلياس، المساجد الأثرية في المدينة المنورة، ط2، 1999م.
- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، 2000م.
- وزيري يحي، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، ط1، المجلد 1و2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م.
- عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م.
- سالم عبد العزيز، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1986م.
- عزوق عبد الكريم، تطور المآذن في الجزائر، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006م.
- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

المحور الثالث: العمارة الإسلامية في بالجزائر في الفترة العثمانية.

(المحاضرة رقم: 09 +10 +11+ 12).

1- مفاهيم عامة حول العمارة العثمانية.

2- العمارة المدنية العثمانية بالجزائر.

3- العمارة الدينية والجنائزية بالجزائر.

4- المنشآت الدّفاعية والعسكرية.

1- مفاهيم عامة حول العمارة العثمانية:

العمارة العثمانية هي تلك الهندسة والتصميم المميز للإمبراطورية العثمانية، حيث تعكسها بدقة بالغة مختلف التطورات والتقلبات التي عاشتها الامبراطورية منذ تأسيسها في شمال غربي الأناضول خلال القرن 13م، وانتهاء بهزيمتها في الحرب العالمية الأولى وحلها من طرف مصطفى كمال أتاتورك 1881م-1938م؛ لقد تطورت العمارة العثمانية في مرحلتها المبكرة عن العمارة العباسية-السلجوقية بعد أن دخلت عليها مؤثرات بيزنطية متأخرة ووصلت في عهد سليمان القانوني 1494-1566م إلى مرحلتها الكلاسيكية على يد المعماري العبقري سنان 1489-1588م، ثم أخذت منحنى مختلفا اعتبارا من القرن الثامن عشر منقادة إلى أسلوب الباروك الأوروبي وصولا إلى الأسلوب الإمبراطوري المقتبس عن الكلاسيكية الجديدة والذي انتشر في الحقبة الأخيرة من عمر السلطنة العثمانية؛ لا يمكن الحديث عن العمارة العثمانية دون ذكر المعمار سنان الذي أنجز مشاريع هامة في كافة الميادين، منها الجسور الكبرى والكرافان سراي (محطات المسافرين) وكذلك المساجد التي قام بتطويرها بشكل باهر، حيث عمل على إنشاءها كمجمع كامل ولقد تميزت بمآذنها الرفيعة والعالية من الجهات الربع وبضخامة الهيكل الذي تعلوه قبة مركزية كبيرة تحيط بها قبيبات أخرى أصغر منها و بأحجام متفاوتة؛ من أهم ابتكارات سنان إلغاء الأعمدة الحاملة للقبة المركزية، ليثبت أن المسلمين سواسية، يمكنهم كلهم رؤية الإمام وسماعه عبر الترداد الصوتي المؤمّن من طرف القباب، حيث تعمل القبة الكبيرة على امتصاص الأصوات المنخفضة ومن ثم عكسها نحو الأسفل، أما أنصاف القبيبات الصغرى فهي تعمل على امتصاص وعكس الأصوات المرتفعة، كما أن لها دورا إنشائيا يكمن في دعم القبة الكبيرة

بشكل متدرج، نظرا لإلغاء الأعمدة الحاملة، عمد كذلك إلى الإكثار من النوافذ لتوفير الإضاءة والتخفيف من ثقل السطح، إن المتتبع لتاريخ العمائر يلاحظ أن ازدهار عمارة ما مرتبط بقيام دولة ما واندثارها وفق حروب تمس كيانها، لكن أن تزدهر عمارة إمبراطورية عظيمة كالإمبراطورية العثمانية على يد مهندس واحد، هذا ما يبين عظم هذه الشخصية ونبوغها.

1-1- الطرز المعمارية المنتشرة خلال العهد العثماني:

1-1-1- طراز النهجية(Mannirism) (1530 – 1600):

جاء هذا الطراز بعد عصر النهضة إلى غاية ظهور طراز الباروك، اشتق اسمه من الكلمة الإيطالية(Manieria) التي تعني النهج، تميز هذا الطراز بالتركيز على المظهر لا المعنى وبعدم الانسجام، نتيجة تضارب العناصر في التشكيل الداخلي والعناصر الأفقية، وبالتقريب بين العناصر، مما يعطي عمقا وحركة دون التأكيد على شيء معين، ضف إلى ذلك التأكيد على الفراغ الداخلي وعلاقته بالعناصر الموجودة به، كذلك إبراز الأعمدة على أسطح الجدران لإعطاء الانطباع على أنها حاملة للأجزاء الموجودة أعلاه، وبهذا تفقد الأعمدة وظيفتها كعنصر إنشائي حامل، ويمكن القول أن النهجية طراز تميز بالرشاقة وقوة التعبير والابتعاد عن الضخامة.

1-1-2- طراز الباروك (Baroque):

اشتقت تسمية باروك من الكلمة البرتغالية Barroco التي تعني اللؤلؤة الخام الخشنة وغير المهذبة، لذلك استغل هذا اللفظ للدلالة على طراز معماري تميز بغرابته بالمقارنة مع العمائر التي سبقته، وانتشر هذا الطراز في الفترة الممتدة بين الطراز المتكلف بإيطاليا في القرن 16م، و ظهور طراز الروكوكو في القرن 18م، حيث تميز بالقوة والعظمة والضخامة التأكيد على الحركة الدائمة المعتمدة على العناصر الشبه الدائرية والخطوط الملتوية، سواء في المساقط أو الزخارف، بالإضافة إلى فراغ داخلي معقد يتم تأكيد جزئه الرئيسي بقبة، كذلك الجمع بين الزخارف والحليات وإظهار الكل في تكوين كامل ومتماثل، كما وزعت النوافذ في هذا الطراز بشكل يسمح بانعكاس جيد للضوء، دون أن ننسى البذخ في استعمال مواد البناء، كالرخام والمعادن على غرار الفضة والذهب والتركيز على وحدة

الفن وذلك عبر العلاقة الوطيدة بين كتل المبنى وزخارفه، حيث روعي في التصميم الخداع البصري، لأن المنظور أساسي في هذا الطراز، نتيجة لتطور الباروك ظهر الباروك الرفيع كمرحلة ثانية منه، الذي تميز بالتأثيرات المحلية في كل بلد أوربي.

1-1-3- طراز الروكوكو:

أخذ هذا الطراز تسميته من الكلمة Rocaille التي تعني الأصداف والأشكال المحارية، التي استعملت كثيرا في هذا الطراز، الذي جاء كمرحلة أخيرة من الباروك، حيث ظهر كطراز زخرفي في فرنسا على يد المهندس Boffrant ، لقد اختلفت تسمياته بخلاف الملوك الذين حكموا فرنسا، حيث سمي بـ: Régence في عهد الأمير فيليب في الفترة الممتدة ما بين 1715 إلى غاية 1723م، كما سمي ب: لويس 15 في عهد هذا الملك في الفترة الممتدة ما بين 1723م إلى غاية 1774م، ثم سمي ب: لويس16 في عهد نفس الملك؛ نشأ هذا الطراز نتيجة اهتمام العائلات الأرستقراطية الأوربية بالفن بطريقة سطحية غرضها المنظور، وقد نجم عن ذلك تحول وظيفة الباروك إلى وظيفة جديدة تمثلت في الروكوكو، تميز هذا الطراز بواجهات ذات شكل منحني وبالدقة والنعومة في كل شيء، كما كانت زخارفه الداخلية خفيفة ذات ألوان مضيئة وداكنة والتي كانت مبالغة نوعا ما، حالها حال الأحجام المتميزة بتعرجها في شكل دوائر ومنحنيات، لقد أكثر من الزخارف في هذا الطراز وخصوصا الأشكال النباتية المعقدة، لدرجة أن العناصر الإنشائية أصبحت ذات وظيفة زخرفية.

1-1-4- الكلاسيكية الجديدة:

انتشرت الكلاسيكية الجديدة في النصف الثاني من القرن 18م، ولقد جاءت كحركة مضادة لطراز الباروك والروكوكو، لتحيي الطابع الذي كان سائدا في العمارة اليونانية والرومانية، حيث أقيمت للعودة إلى شكل ونظم العمارة والفن الروماني؛ وتميزت عمارتها بالتقليل من الزخارف وبموضوعيتها، كونها استندت على نظريات Vitruvius ، مما أدى إلى ظهور عمارة سهلة وواضحة ذات أشكال هندسية مثل المكعب والأسطوانة والهرم والكرة، عملت على إيضاح كتل المبنى، كما تميزت أعمدتها بطابعها الإنشائي البحت.

1-1-5- الطراز الرومانسي (الرومانسك):

ظهر هذا الطراز في إنجلترا خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن 19م، ومن مميزاته التعبير عن الشعور دون العقل والفكر والسطحية بدلا من العمق، والبساطة بدل الإتقان، كما ظهر من خلال هذا الطراز إحياء مظاهر الفن القوطي، بالإضافة إلى ظهور الحدائق والمياه ضمن التصميم، حيث تفاعلت المباني مع الطبيعة المحيطة بها وانسجمت معها بشكل أثر بصفة كبيرة في تكوينها المعماري.

1-2- العوامل البيئية والبشرية المحلية المؤثرة على العمارة الجزائرية العثمانية:

عوامل بشرية وبيئية عدة أثرت في العمارة الجزائرية في العهد العثماني وأسهمت بشكل كبير في الشكل الذي برزت عليه في تلك الفترة، حيث أنشأت عناصرها المعمارية لتأدية وظائف معينة، لتتلاءم ومحيط هذه العمارة لتوفير الراحة لساكنيها، لذلك نلاحظ مثلا تشابه مباني مدينة الجزائر من حيث الشكل العام، كونها صُمِّمت لتتلاءم مع نفس البيئة المنتمية إليها، لهذا السبب جاءت عمارتها بسيطة مجردة من العناصر الزائدة، كون كل عنصر من عناصرها يلعب دورا معينا، من أهم هذه العوامل نذكر باعتماد على مثال مدينة الجزائر:

1-2-1- العامل الأمني:

للجانب الأمني الأثر الكبير في نشأة المدن واستقرارها، فبالإضافة إلى الشروط الأساسية لقيامها من كلأ ومحتطب وماء، وجب اختيار موقع منيع طبيعيا لبنائها وتحصينها بشكل دفاعي وهجومي في نفس الوقت، خصوصا إذا كانت مدينة ساحلية، مما يسهل حمايتها في حال تعرضها لأي هجمات خارجية، وكمثلا عن ذلك نتطرق إلى مدينة الجزائر التي حصنت بصفة جيدة، سواء من حيث موقعها المنيع، أو من حيث نوعية البنايات العسكرية التي زودت بها، حيث وجه عمران المدينة نحو مرتفع تلة لتسهيل حمايتها، خصوصا مع اتخاذها الشكل المثلث الذي تعلوه قلعة في القمة، مما يساعد على توجيه المدفعية بشكل جيد وفي التحكم في نطاق القذائف، كما أحيطت بأسوار منيعة عالية ذات دور مزدوج هجومي ودفاعي في نفس الوقت، تحتوي بين مسافة وأخرى على أبراج لتقوية بعض النقاط من هذه الأسوار، لدرجة أنها شبهت بالقوس المحكم شده والموجه نحو البحر،

كما زودت ضواحي المدينة بقلاع وأبراج، لتعزيز حمايتها تحسبا لأي حالة طارئة سواء برا أو بحرا؛ وتجدر الإشارة إلى أن هذا التحصين قد شابته ثغرة اكتشفها القنصل الأمريكي وليام شالر، ومن قبله الضابط بوتان Boutin سنة 1808، هي أن تحصين المدينة قد وجه نحو الشرق دون مراعاة الجهة الغربية ،التي من السهل جدا إنزال الجنود بها في خليج سيدي فرج والسير برا نحو حصن الإمبراطور، للاستيلاء عليه بسهولة، خصوصا إن رافق الحملة قوات بحرية نحو الشرق للتمويه.

لقد كان للعامل الأمني الأثر الكبير في اكتظاظ مباني مدينة الجزائر، مع ازدياد عدد السكان بها وانحصارها داخل الأسوار لتسهيل حمايتها، مما ساهم في ارتكاب المباني على بعضها، وفي بروز عناصر معمارية لربح فضائي إضافي، كما برز التأثير الأمني كذلك على شكل العناصر المعمارية كالنوافذ والأبواب الخارجية، كذلك في إحاطة ديار الفحص بأسوار عالية مصمتة وكأنها أبراج حربية، وغير ذلك من العناصر المعمارية التي تعكس هذا التأثير.

1-2-2- طبيعة الموقع:

بنيت منازل مدينة الجزائر داخل الأسوار لضرورية أمنية، على مساحة تقدر بـ 45 هكتار، مع ازدياد عدد السكان السريع مع هجرة الأندلسيين، التصقت المباني فيما بينها، حيث استغلت كل المساحات الأرضية رغم طبوغرافية المدينة المتدرجة، التي تميزت بقسمين جزء سفلي وهو الوطى، أي السهل والذي يرتفع بـ 20م عن مستوى سطح البحر وجزء علوي، هو الجبل الذي يتميز بميلان (انحدارية) يقدر بـ 15 ٪ من جهة الشمال وبـ 20 ٪ من جهة الجنوب، يتميز هذا الجبل بتدرج مستوياته بانحدارات تقارب 40 ٪ تسمح بميلان يعادل علو طابق بين منزلين، هذا الفرق في الميلان لم يعق بنّائي مدينة الجزائر، كونهم لم يلجؤا إلى تهيئة أرضية البناء عن طريق أعمال الحفر(terrassement) والردم (remblais)لتحقيق مستوى أفقي لإنجاز وسط الدار، بل استغلوا هذا الفرق في ميلان الأرض بين منزلين لإنجاز السقيفة، التي من المستحسن ألا تكون بنفس مستوى وسط الدار، كذلك لإنجاز فضاءات أخرى مثل المخازن والبئر والصهريج، وغيرها من الدكاكين والمقاهي، لربح حيز مكاني إضافي مما يفرضه النسيج العمراني للمدينة، هذا فيما يخص الجبل الذي

غالبا ما تكون منازله مقامة على قطع أرضية(سناد هندسي) غير منتظمة هندسيا، مما يؤدي إلى إلغاء بعض العناصر الأساسية المعروفة في المنزل الجزائري، أو إلى تحوير أشكالها، على عكس المنازل المقامة في السهل الوطي، التي تقام على سناد هندسي منتظم في القاعدة، والذي يكون مربعا بشكل عام، لذلك نلاحظ أن تأثير الطبوغرافية على المباني كان مختلفا وهذا حسب المنطقة المنتمية إليها داخل المدينة. باعتماد تقسيم ديفولكس(دوفو) (Devoulx) نستطيع تقسيم المدينة إلى ستة مناطق حسب موضعها الطبوغرافي، هي منطقة شارع باب الوادي أو دار النحاس، منطقة شارع القصبة، منطقة شارع باب عزون، منطقة مركز المدينة ومنطقة شارع البحرية.

يدخل في الحسبان تكوين أرضية المدينة والطبقات الستراتيغرافية المكونة لها، حيث يتكون سطحها من تربة حمراء مائلة إلى السواد في بعض الجهات، بسبب تشبعها بنترات مختلف المعادن، بعمق وسطي متغير يتراوح ما بين 4م إلى 10م، أما الصخور الأساسية المكونة للسطح فهي من الشيست الأزرق، مما يؤثر بشكل مباشر على أساسات المباني حيث تعتبر الأسطح الصخرية الصلبة من أفضل حالات إقامة الأساسات، كونها تبني مباشرة على الصخور، أما إذا كانت الأرضيات متينة بصفة كبيرة، تلغى الأساست و تبنى الجدران فوق الصخور.

يؤثر تكوين سطح المدينة كذلك على منازلها بتزويدها بالمياه عن طريق الآبار، حيث يلاحظ أن غالبية المنازل مجهزة ببئر، وهذا راجع لطبيعة الأرض المحتضنة في جوفها طبقات مائية، تكونت جراء تسرب (ارتشاح) مياه الأمطار عبر التجاويف الأرضية الناشئة عن تآكل الصخور العلوية، وعدم نفاذية الأسطح التي تحتها التجاويف المتواجدة على عمق 15م أو 20م، عند الطبقة الخازنة للماء، وهي طبقة المارن المايوسيني، التي تظهر في الجهات الشرقية والجنوبية لمدينة الجزائر؛ ويعمل نظام الآبار وفق تأثير الضغط الهيدروستاتيكي، حيث إذا تشبعت طبقة مسامية من منطقة عالية بالماء ووجدت فوقها طبقة غير مسامية فتح بها بئر، فإن المياه تندفع في البئر تحت تأثير هذا الضغط.

كما كان لوفرة المواد الأولية في ضواحي المدينة أثره الكبير على بناء المنازل ومقاومتها عبر الزمن، فلاستعمال مواد بنائية من نفس محيط المبنى تأثيره الواضح على

المبني بحد ذاته، كون هذه المواد تكونت في ظروف خاصة بالمنطقة، لذلك يمكنها وبسهولة مقاومة نفس الظروف، لأن الطبيعة تكوّن مواد ملائمة للبيئة المحيطة بها، والتي تكون أكثر مقاومة من الناحية الإنشائية؛ لقد تركزت محاجر الصخور في باب الوادي وباب عزون، حيث وجدت مقالع الحجارة البيضاء في جبل الحامة. بالنسبة للفليس (tuf) فقد كان يستخرج من محاجر تقع شمال غرب المدينة، كما كانت الصخور الجيرية تستخرج من البوانت بيسكاد، أما فيما يخص مواد البناء المستخرجة من مناطق بعيدة عن مدينة الجزائر، نذكر الحديد والرصاص المستخرجين من جبال القبائل، وخشب العرعار (العفص) (thuya) المقطوع من غابات شرشال وزكار بمليانة، كذلك خشب الأرز الذي كان يزرع بمليانة بالخصوص، ويستهلك بالكامل في وطن الجزائر.

1-2-3- العامل المناخي:

مدينة الجزائر كغيرها من المدن الساحلية لحوض البحر الأبيض المتوسط، ذات مناخ شبه استوائي(Subtropical) متوسطي، متميز بصيفه وشتاءه المعتدلين، بإشعاع شمسي (إبهار)(ensoleillement) حاد، نظرا لصفاء الجو، وبرطوبة نسبية كبيرة كونها مدينة ساحلية تتراوح ما بين 60 ٪ إلى 90 ٪ ؛ أما بالنسبة للأمطار فهطولها يكون على مدار السنة بمقدار غيث نسبي ضعيف، بمتوسط سنوي يتراوح ما بين 600 إلى 700 م^3، فيما يخص رياح هذه المدينة فهي نوعان، شمالية شرقية، تهب في الفترة الممتدة ما بين ماي وسبتمبر والثانية شمالية غربية تسود بقية السنة.

أثّر هذا المناخ بشكل مباشر على وظيفة العمارة وهندستها، حيث هيئت لتوفير جو مريح لساكنيها، وذلك بحمايتهم من التقلبات المناخية الخارجية، عن طريق وقاية المباني من مياه الأمطار وإعادة استغلالها في نفس الوقت، كذلك في الحفاظ على نسبة معينة من الحرارة والرطوبة داخل المباني، تكون مناسبة لجسم الإنسان، وهذا باختيار مواد بناء ذات خاصية اكتساب وطرد بطيئين للحرارة(حيث تكتسب هذه المواد الحرارة خلال النهار وتطردها أثناء الليل والعكس يحدث فيما يخص البرودة مما يوفر جوا معتدلا للمبنى)، أيضا عبر التهوية بإنشاء فتحات ذات أبعاد وعلو معينين، كذلك في اختيار اللون الخارجي للمباني

والذي يجب أن لا يكون عاكسا للأشعة الشمسية، كما تتم دراسة وجهة الرياح التي من خلالها يتم اختيار وجهة المبنى بما فيه من عناصر، مثل باب السطح والملقف وغير ذلك.

1-2-4- العامل الديني:

نظرا لكون الأمة الجزائرية مسلمة لذلك نلاحظ انتظامها وفق الشريعة الإسلامية التي تنظم حياتهم وفق أحكام تضبط سلوكياتهم في مختلف المجالات، والتي نذكر منها أحكام البنيان التي تفرض شروط معينة عند البناء، مما جعل جميع المباني المنتمية لمدينة الجزائر في العهد العثماني متشابهة، كونها خاضعة لنفس الشروط بما يعرف بالعرف البنائي، يعتبر الحديث النبوي الشريف " لا ضرر ولا ضرار " المرجع الإسلامي الأساسي في تسيير عملية البناء، حيث يمنع القيام بأي عمل من شأنه الإخلال بحقوق الجار أو إلحاق الضرر به، بالخصوص في مدينة متميزة بنسيجها العمراني المتضام كمدينة الجزائر. يضبط الفقه الإسلامي حقوق الجوار ضمن عدة أحكام من أهمها:

حيازة الضرر: هو حق من حقوق الجار الذي بنى أولا، الذي يمتلك عدة امتيازات يجب على الجار الذي يبني بعده احترامها، وإن حدث وقام الجار الحديث بأي شيء من شأنه المساس بخصوصية الجار الأول، يكون قد أضرّ به و بالتالي قد حازه الضرر، وبذلك يكون القضاء لصالحه في حال رفعه لدعوى قضائية.

حق الارتكاب: حق الارتكاب أو حق الهوى، حق يبيح لشخص ما الانتفاع بالمساحة العلوية لمبنى ما، بتفاهم هذا الشخص مع الساكن السفلي، سواء بالبيع أو التراضي، للاستفادة من الفضاء العلوي والارتكاب فوق المبنى السفلي.

ضرر الكشف: يحق لأي شخص الاحتفاظ بخصوصية عائلته، وبالتالي لا يحق للجيران كشف هذه الخصوصية عبر فتح نوافذ مطلة على منزله.

حق المسيل: يحق للسكان استغلال مياه الأمطار وتجميعها، وهذا بنقلها من السطح عبر قنوات، وبالتالي تفادي الإضرار بالمارة والمباني المجاورة عبر انصبابها.

إحياء الموات: الموات هي أرض لا عمارة فيها ولا يملكها أحد، يكون إحياءها بالبناء والحرث والزراعة وإجراء المياه فيها، فطبقا للحديث النبوي الشريف : " العباد عباد الله، والبلاد بلاد الله ومن أحيا أرضا ميتة فهي له "، يحق لأي شخص استغلال أرض منسية

(مسيبة) والبناء عليها، حيث يساهم هذا العمل في إعادة تعمير المنطقة وفي التقليل من المساحات المستعملة لرمي النفايات، وبالتالي إلغاء الضرر بالنسبة للمباني المجاورة لهذه القطع الأرضية.

لقد تعدت هذه الأحكام المنازل إلى تنظيم الأزقة والطرقات، كونها أساسية في الربط بين هيئة المنازل باعتبارها من الممتلكات العمومية، من أهم هذه الأحكام نذكر:

حفظ الطريق: باعتبار الطرقات والأزقة فضاء عموميا، لا يجوز إنشاء أي بناء أو إنجاز أي عمل فيها من شأنه الإضرار بالمارّة، بل بالعكس، حيث يجب احترامها والمحافظة عليها بما يعرف بإماطة الأذى عن الطريق.

سد الذرائع: يقصد بسد الذرائع، منع أي فعل محتمل من شأنه إلحاق الضرر بالناس، مثل تعيين حراس على الدروب لحفظ النظام بها.

تجدر الإشارة إلى أنه و رغم اختلاف المذهب العثماني وهو الحنفي، و المذهب الجزائري وهو المالكي، لم تحدث مشاكل فيما يخص القضاء، حيث كان من حق أي شخص الاحتكام بأي من المذهبين بما يتماشى مع مصالحه.

1-2-5- العامل الاجتماعي:

تؤثر ثقافة مجتمع ما على عمران منطقته، حيث تبنى منازله وفق عادات متوارثة تتماشى مع سلوكيات معتادة يعتقد أنها إلزامية، و بذلك تعتبر العمارة المرآة العاكسة لثقافة مجتمع ما في فترة معينة، فمن خلال النسيج العمراني المتضام لمدينة الجزائر، يبرز التكتل الاجتماعي بين أهلها عبر احتكاكهم في الحياة اليومية، كذلك في الخصوصية عبر الانتماء الداخلي للدروب في الأحياء السكنية، وفي المنزل المنفتح على وسط الدار للأسرة.

يتركب المجتمع من جماعات عدة تتقاسم الكيان ذاته من الانتماء والاحترام والموارد والامتيازات والسلطة، مشكلة بذلك جماعات ترابية منسجمة نسبيا، تؤثر بشكل مباشر في طبيعة العمران وتقسيم مناطقه، حيث يمكن ملاحظة تقسيم الأحياء حسب الانتماء العرقي والديني بشكل عام، حيث تركز الأتراك في السهل(الوطي) بالقرب من قصر الجنينة، أما الأوربيون المسيحيون فقد تركزوا -حسب بعض المصادر- بقرب فرن يدعى كوشة النصارى، مستدلين بذلك على تسميته، كذلك اليهود الذين تركزوا بحي خاص بهم داخل

المدينة، الذي سمي نسبة لهم بزنقة أو حومة اليهود؛ أما فيما يخص الأندلسيين فنجدهم قد تركزوا في عدة مناطق، نذكر منها على سبيل المثال، حي الطغارة الموجودة خارج الأسوار من جهة باب الجديد، الذي سكنه الأندلسيون المهاجرون من المناطق الحدودية بين المسلمين و المسيحيين –أي الثغور– و بذلك حُرِّف اسم الحي من الثغريين إلى الطقريين إلى الطقارة .

لم يقتصر تقسيم الأحياء حسب الانتماء والدين، بل كذلك على حسب الجماعات الحرفية، حيث يساهم اجتماع الحرفيين (أهل الصنعة) في مكان واحد على تنظيم الصناعة والبيع في آن واحد، كذلك تسهيل إدارة هذه الحرف من طرف السلطات العمومية؛ لقد تم تعداد 32 جماعة حرفية بمدينة الجزائر في العهد العثماني، كل حرفة يتزعمها أمين يقوم بتسيير حرفة معينة، لذلك فمن الضروري تواجد حرفة معينة في مكان واحد لتسهيل تسييرها و التعامل مع معلميها، كذلك في جمع الضرائب، لذلك نلاحظ بروز عدة أحياء تحمل أسماء الحرف التي كانت سائدة بها، مثل زنقة النحاسين، وزنقة السمن، وزنقة السمارين، وزنقة الدباغين وغيرها من الأحياء، كذلك حي البحرية الذي كان يسكنه رياس البحر، وحي القنا صلة الذي كان يسكنه القنا صلة الأوربيون. عندما ذكرنا أن هذه الأحياء قد سميت نسبة لساكنيها نقصد غالبيتهم، أي على حسب غلبة الحرفة أو الانتماء أو الدين؛ كما كان للنشاط الاقتصادي أثره في تقسيم المجتمع إلى طبقة فقيرة، متوسطة وغنية، مما أثر كذلك على نوعية المباني، سواء من حيث الزخارف، أو فيما يخص المساحات والمواقع المبنية عليها، حيث نلاحظ أن مباني الأغنياء أو القصور قد تميزت بجمالها وروعتها بسبب الزخارف المنمقة التي تحتويها، بالإضافة إلى مواد البناء الباهظة المبنية بها، وبمساحاتها الواسعة الممتدة على أراضي متميزة بمواقعها الرائعة كالوطى (السهل) داخل المدينة والفحص خارج الأسوار.

2– العمارة المدنية العثمانية بالجزائر:

اختلفت العمارة العثمانية المدنية باختلاف طبقاتها الاجتماعية، حيث نلاحظ العمارة الملكية المتمثلة في **السراي**، وهو لفظ فارسي يطلق على القصر أو المنزل، استعمل في العهد العثماني للدلالة على مجموع المباني المشيدة في القصر الإمبراطوري، يعتقد أن هذا

المصطلح يطلق فقط على الجزء الخاص بمنازل الحريم، لكنه في الأساس يطلق على القصر كاملا بما يحتويه من إقامات وإدارات وغيرها، كون السراي عبارة عن مجمع معماري يلبي جميع الاحتياجات في نفس المكان؛ أقيمت ثلاث سرايات خلال العهد العثماني، السراي الأول بني وسط مدينة اسطنبول من طرف محمد الفاتح، تميز باحتوائه على أماكن للاستراحة وأجنحة وحمام ومطبخ سلطاني ومباني خاصة بالموظفين والخدم، ثاني سراي هو السراي الجديد المسمى بطوب قابي أي سراي باب المدفع، الذي بني بدوره كذلك من طرف محمد الفاتح بعد 12 سنة من فتح القسطنطينية، في المكان الممتد بين القرن الذهبي وبحر مرمرة في موقع الاكربول البيزنطي، احتوى هذا السراي على قصور وأماكن للاستراحة، مساجد ومكتبات ومعسكرات، دواوين حكومية، قاعات للاجتماع ومباني متنوعة، أضيفت إليها مطابخ وأجنحة للحريم واسبلة مع حدائق، حيث بقي هذا السراي مستعملا من طرف السلاطين إلى غاية القرن 19 م، أما السراي الثالث فهو ضولمة باغجة سراي، أي سراي حديقة ضولمة وهو أكبر سراي بني بالأناضول، ابتدأ بناءه مع عهد بايزيد الثاني وبمرور الوقت أضيف إليه مبان أخرى ولم يكتمل بناءه إلا سنة 1835م، امتد موقعه من منطقة بشيكتاش إلى غاية ضولمة باغجة، بالموازاة مع هذه المباني الملكية بنيت منازل الطبقة الغنية، التي تمثلت في ثلاث أشكال هي **القونق** التي تعني محطة أو مكان وقوف في الأصل، استعملت للدلالة على منازل المدينة التي تحتوي على استراحة لكبار الوجهاء ومنازلهم، أما ثانيها فهي **اليالي** التي تعني المنزل الكبير المبني على شاطئ البحر، امتد هذا النوع من المنازل بشكل لافت على شواطئ البوسفور، ثالث هذه المباني **الكشك** الذي اشتقت منه الكلمة الإنجليزية kiosk وهو الذي يطلق على المسكن الصيفي وسط البساتين؛ وثالث هذه الأنواع **المنازل الشعبية** التي تمثلت في بناء من طابقين بجناح للاستقبال خاص بالرجال يدعى سلاملك وجناح آخر خاص بالنساء يدعى حرملك، تميزت أسقفه بزخارف ذات أشكال هندسية متشابكة مرسومة مثلها مثل الرفوف الخاصة بالكتب والأدراج، كما احتوى هذا البناء على حديقة يطل عليها بهوان من خلال عقود.

2-1- القصور في الفترة العثمانية:

اهتم الخلفاء والأمراء في العصر الإسلامي عموما والعهد العثماني خصوصا بتشييد قصور فخمة على مساحات أرضية واسعة تتوسطها أفنية تدور حولها أجنحة خاصة بالحكم والسكن والمرافق المختلفة، حيث نجدها مبنية بالآجر والخشب لتدعيم المبنى محتوية على طابقين الأرضي الذي يضم سقيفة تقوم مقام غرفة الاستقبال تأتي مباشرة بعد المدخل الرئيسي، وفناء تتوسطه وأروقة وغرف ومطبخ وحمام، والطابق العلوي المكون عدد من الغرف متفاوتة المقاسات ونذكر منها:

2-1-1- قصر الدار الحمراء:

يقع قرب قصور رياس البحر في حي البحرية أو ما يعرف حاليا بحصن الثالث والعشرين وهو موجه لمسجد علي بتشين، شيد هذا القصر حوالي سنة 1800م من طرف الداي حسن، يتميز بسقيفة صغيرة المقاسات، وبطابق أرضي تتوزع الغرف فيه على ثلاث جهات فقط أما الجهة الرابعة فخصص للمطبخ، الغرف الشمالية تبلغ مقاساتها حوالي 9.40م×2.85م ومقاسات الغرف الشرقية تقدر بحوالي 14.40م×2.10م، والغرف الغربية تعتبر أصغر غرف القصر.

2-1-2- قصر خديوج العمياء:

يقع فوق زاوية سيدي أحمد بن عبد الله بشارع سوق الجمعة بالقصبة السفلى بالقرب من ساحة الشيخ عبد الحميد بن باديس، تم إنشاؤه في منتصف القرن 15م ويقترب هذا القصر إلى الشكل المربع إذ يبلغ طول ضلعه حوالي 35م، يتميز بسقيفتين الأولى ذات مقاسات 2.60م×1.90م، والثانية التي هي عبارة عن ممر ضيق ذات مقاسات 5.12م×2م محتوية على مقاعد لاستقبال الضيوف هذا من جانب ومن جانب آخر، يتميز القصر باحتوائه على طابق أرضي وعلوي تتخلله مجموعة من الغرف الموزعة على الجوانب الأربعة التي تطوق الصحن، وهذه الغرف متقاربة في المقاسات؛ أصبح القصر متحفا وطنيا للفنون والتقاليد الشعبية.

2-1-3- قصر مصطفى باشا:

بناه مصطفى باشا بعد عام من توليه وتنصيبه داليا على الجزائر 1798م، ويقع في القصبة السفلى ساحة ابن باديس بالقرب من جامع كتشاوة، يضم القصر ساحة و27 غرفة وهي موزعة بين الطابقين الأرضي والعلوي، علما أن مطبخه نجده في الطابق العلوي؛ كان الداي مصطفي يقطن بالجنينة ويذهب للقصر بعد ظهر الخميس ويغادره صباح الجمعة، وبعد مقتله سنة 1805م استحوذ الداي أحمد باشا الذي قتل بدوره سنة 1808م على يد جنود الانكشارية، ثم استولى عليه إبراهيم آغا صهر الداي حسن باشا سنة 1826م.

2-1-4- قصر الآغا:

يقع قصر الآغا بشرق حدائق الداي وغرب مسجد الداي، ويتكون من طابقين الأرضي والعلوي، حيث الأرضي منه مكون من قاعة معمدة وخمسة قات جانبية ومطبخ وخزان الماء.

2-1-5- قصر الباي بوشلاغم بمدينة وهران:

شيد الباي بوشلاغم خلال فترة حكمه الممتدة من 1119هـ/1708م إلى 1135هـ/1723م أثناء الفتح العثماني الأول لمدينة وهران قصرا يحتوي على سبع وثلاثين غرفة وفناء وبستان بصهريج، وقام أيضا ببناء مخزن وبقيت منه الكتابة الأثرية والتي جاء نصها على النحو الآتي: "الحمد لله وحده أمر ببناء هذا المخزن المجاهد بن سبيل الله مصطفى باي بن يوسف عام 1133هـ"، وهناك كتابة أخرى تذكر ببناء حمام من قبل الباي بوشلاغم والتي نصها على النحو الآتي: "الحمد لله إن المجاهد في سبيل الله السيد مصطفى باي بن يوسف أمر بتشييد الحمام سنة 11.5" بحيث السنة غير واضحة القراءة.

2-2- المساكن في الفترة العثمانية:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني انتشر للعمران والعمارة السكنية بفعل حركية الناس ما ينتج مساكن تلبي حاجياته اليومية، ما جعل المنازل في الجزائر خلال العهد العثماني تمتاز بالطابع الإسلامي، حيث نجدها شبيهة في كثير من جوانبها بالمنازل في المشرق الإسلامي خلال العصرين الأموي والعباسي من حيث التصميم والعناصر المعمارية كوجود صحن مركزي وأروقة وغرف حوله، وهو تصميم يلائم طبيعة الحياة الإسلامية، كما

كانت في أغلبها موحدة الشكل والتصميم ولا تختلف فيما بينها إلا في المساحة العامة والمواد البناء التي بنيت بها، فقد كان في غالبيتها مربعة الشكل، ويقول شالر بوصفه للمنزل الذي يسكنه سيعطي فكرة عن جميع منازل مدينة الجزائر في العهد العثماني، وهو منزل ذو شكل مربع مكون من طابقين يقعان حول حوش مفروش بالممر ويحيط الحوش صفان من الأعمدة، ويسمى الحوش كذلك بالفناء أو وسط الدار؛ توجد بالمنازل الكبيرة حوشا أو باحة بنافورة، مما يلاحظ على المساكن عدم وجود نوافذ على العالم الخارجي وحتى إن وجدت تكون عالية هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن واجهات الرئيسية للمساكن تقع في الأزقة الضيقة بعيدة عن الشوارع الكبرى، خاصة المتفرعة عنها الساحة العامة التي تكثر فيها الحركة كالأسواق والمرافق العامة الأخرى، ويرجع ذلك لأسباب أمنية إضافة إلى الحفاظ على خصوصية ساكني المنزل، فالمساكن تأتي منغلقة على نفسها ومنفتحة على الساحة المركزية في الداخل، فالمنزل منظم ومهيكل من أجل عزلة المرأة والعائلة عن العالم الخارجي، كما تم تجنيب فتح النوافذ في الواجهات المقابلة للبحر لتفادي التيارات الهوائية الباردة منها، كما أن التخوف من الزلازل في المناطق المعرضة له على غرار الجزائر فقد تم تحديد علو المباني فنجدها تتكون من طابقين أو ثلاث لا أكثر؛ تنفتح المنازل بباب رئيسي واحد على سقيفة فيها مصطبتان يجلس عليهما أهل الدار أو لاستقبال الضيوف، ومن السقيفة يوجد باب آخر يفضي به إلى وسط الدار الذي حوله أربعة أروقة وغرف، وللوصول إلى الطابق العلوي يستعمل درجا الموجود في أحد أركان الفناء هذا من جانب ومن جانب آخر، نجد مختلف المرافق التي تلبي حاجيات المعيشة من مطبخ وحمام ومخازن، وينتهي المنزل بالسطح والذي كثيرا ما يستعمل لمختلف الأشغال كتجفيف مثلا؛ كما تميزت المساكن بقربها ببعضها البعض إضافة إلى ضيق الأزقة التي تفصل بينها، وكان هذا التقارب يسهل عملية الاتصال بين السكان خاصة النساء، وبالتالي فالمساكن لم تكن لتعكس مشكلا عمرانيا ونمطا في الحياة فقط بل كان حاملا لذاكرة ساكنيها.

2-3- تأثير العمارة المدنية بالجزائر بالعمارة العثمانية:

لقد بنيت الحمامات الجزائرية بنفس طراز الحمامات العثمانية، وحتى أن طريقة استحمام الطبقة البرجوازية الجزائرية تتلاءم وعادات العثمانيين وسلوكاتهم، حيث جهزت هذه

الحمامات بالماء البارد والساخن، لقد بنى حسن باشا ومحمد بن صالح رايس (قائد البحرية) حمامات واسعة تضاهي حمامات اسطنبول، كما أن التسمية التي تطلق على فرن الحمام و هي الفرناق، أكبر دليل على التأثير العثماني على الحمامات هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن **الرواشن**(الخرجات البنائية) (encorbellement) البارزة في واجهات المنازل مجلوبة كذلك من المشرق، ما جعل تأثر العمارة الجزائرية في العهد العثماني بالرواشن العثمانية، فهي داخلة ضمن الأشكال المعمارية المجلوبة من طرفهم، كذلك الحال بالنسبة لوسط الدار الذي كان يدعى بال pati في العهد العثماني وهي كلمة عثمانية، مما يبرز تأثيرهم على العمارة الجزائرية، حتى من خلال البلاطات الطماطمية المثمنة الأوجه المستعملة في تبليط أرضيات المباني الجزائرية، هي ذات تأثير عثماني كونها ظهرت ولأول مرة بلونها الطماطمي هذا في عهد سليمان القانوني، لا تستثنى الزخارف كذلك من التأثير العثماني، حيث تأثرت وكغيرها من العناصر المعمارية بالزخارف العثمانية، المتميزة بتشعبها الكبير على غرار قصور آل عثمان بالأستانة، من ابرز الأمثلة على ذلك أسقف قصر الداي، المتميزة بزخارف ذات نقوش متعددة على الطراز العثماني، كونها نقشت بأيادي فنانين يونانيين زاولوا هذه الحرفة باسطنبول، أرسلوا من طرف الباب العالي لزخرفة غرف هذا القصر.

3- العمارة الدينية والجنائزية بالجزائر:

شهدت الجزائر إبان العهد العثماني وضعا اجتماعيا متميزا وانتعاشا اقتصاديا واضح المعالم، حيث صاحب هذه النهضة حركة معمارية وفنية ناشطة تمثلت في العديد من المنشآت، ومن بينها المباني الدينية التي تزخر بها الجزائر في العهد العثماني، إذ تركوا آثارا دال على تواجدهم على غرار المساجد والزوايا والأضرحة.

3-1- المساجد الأثرية العثمانية:

تعد المساجد من المظاهر والمنشآت المعمارية التي لا يمكن أن تخلو مدينة من المدن الإسلامية منها، فهي تعبير عن روح وجوهر العقيدة الإسلامية لأهل المدينة، وكان لهذه المساجد دورا كبيرا في حياة المجتمع؛ تختلف الإحصائيات عن عدد المساجد في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، فقد ذكر التمكروتي عن مدينة الجزائر في أواخر القرن 16م

بقوله:" أن فيها جامعا كبيرا وهو واسع وإمامه مالكي"، كما ذهب هايدو الإسباني في نفس الفترة بقوله: "كانت لمدينة الجزائر حوالي مائة مسجد منها سبعة رئيسية"، وفي بداية القرن 13هـ/19م يقول الدكتور شاو: "لا يوجد بالمدينة ساحات ولا حدائق، ونجد عشرة مساجد كبيرة وخمسين مسجدا صغيرا" هذا من جانب ومن جانب آخر فإن إحصائيات المساجد بمدينة قسنطينة في عهد صالح باي والذي اعتنى بإحصائها وترميمها وتشييدها وكما جاء في السجل الذي أمر به بوجود خمسة وسبعين مسجدا وجامعا، كما ذكر الورثيلاني في رحلته لمدينة قسنطينة والذي أعد بها خمسة مساجد وقد كانت في غاية الاتقان؛ وسوف نتطرق لأشهر الجوامع والمساجد المنتشرة بالجزائر خلال العهد العثماني ونذكر منها:

3-1-1- جامع كتشاوة بالجزائر العاصمة:

يعد جامع كتشاوة من أشهر الجوامع الجزائرية في العهد العثماني فهو يشكل تحفة معمارية تركية نادرة من نوعها، سمي بكتشاوة نسبة للسوق التي كانت تقام في الساحة المجاورة، وكان الأتراك يطلقون عليها اسم سوق المعز؛ بني الجامع سنة 1021هـ/1612م كما أعاد بنائه وتوسيعه وتصميمه حسن باشا على نمط مسجد السيدة سنة 1209هـ/1794م، مستدلا بذلك على اللوحة التذكارية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية، وهي عبارة عن لوحة مستطيلة مكتوبة باللغة العربية بالخط الثلث وحفرا غائرا، حيث جاءت الكتابة على شكل أبيات شعرية في سطرين داخل معينات؛ كان الجامع من الجوامع الحنفية، وله خطيب ومدرسون وموظفون آخرون. أخذ مخطط الجامع شكلا مستطيلا طوله 23.5م وعرضه 18.7م، وللمسجد قبة مركزية وبيت الصلاة ويطوقه أربعة أروقة أضيف إلى الجدار الموازي لجدار القبلة رواقا، وهو ما أعطى للمسجد شكل الاستطالة، وهذه الأروقة غطيت بقباب بأقل مستوى من القبة المركزية، وينتهي المسجد بمئذنة موجودة بالركن الجنوبي منه، والتي تبدو من تصميمها مربعة الشكل على الطراز الأموي ثم المغربي فيما بعد، وباستعمار الفرنسين للجزائر قاموا بتغير مخططه نهائيا ولم يبقوا إلا العناصر المعمارية التي احتاجوا إليها كالأعمدة والمنبر، ليتغير من المسجد إلى كنيسة في 1832/12/24م باسم كاتدرائية القديس فيليب.

3-1-2- المسجد الكبير:

يقع بشارع البحرية مساحته تقدر نحو 200مترمربع، بني في سفح الجزائر ببني مزغنة سنة 409هـ/1097م في العهد المرابطين ومؤسسه هو يوسف بن تاشفين، وقد سماه العثمانيون بالجامع الأعظم؛ موجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي مشكلا تقريبا متوازي الأضلاع، يتكونالمسجد من بيت الصلاة المحتوي على 72عمودا تعلوها عقودا مشكلة 11انفراجا، والمحراب الذي هو على طرز المحاريب التركية تتضمن واجهته بلاطات الزليج هذا من جانب ومن جانب آخر فمنبر الجامع يعتبر أقدم منابر يعود تاريخه إلى أول رجب 409هـ/1097م وهو مزخرف بزخارف ذات أشكال هندسية مختلفة، وفيما يخص المئذنة الموجودة بالركن الجنوبي منه، حيث حوت على كتابة أثرية وجاء نصها على النحو الآتي: – كما تمم أمير المسلمين أبو تاشفين أيده الله ونصره – الجزائريين في مدة أولها يوم الأحد 17 من ذي القعدة من عام اثنان وعشرين وسبعمائة وكان تمامها وكمالها.

3-1-3- المسجد علي بتشين:

يقع في زاوية التقاطع بين شارعي باب الواد والقصبة وهو مسجد جامع وقد سمي نسبة لمؤسسه علي بتشين أو بجنين، وهناك عقد عثر عليه القاضي الحنفي يذكر أن القائد الإيطالي **Pechinino** المسيحي المعتنق لدين الإسلام هو الذي بنى المسجد في القرن 11هجري (1032هـ/1622م)، وتقدر مساحته بحوالي 500متر مربع وهو من مساجد المذهب الحنفي؛ تمتد واجهته الشرقية إلى مدخل ضيق يؤدي للضريح، حيث للمسجد صحن مربع الشكل تعلوه قبة ترتكز على أربعة دعائم، كما نجد مئذنته المربعة الشكل الواقعة في الركن الفاصل بين نهجي باب الواد والقصبة، ولقد بني المسجد فوق أرض غير متساوية ما جعل بناءه فوق حوانيت لتساوية الأرضية؛ وعند سقوط مدينة الجزائر بقبضة المستعمر الفرنسي حول المسجد إلى صيدلية مركزية لصالح الجيش الفرنسي سنة 1831م هذا من جانب ومن جانب آخر وضع تحت تصرف الكنيسة الكاثوليكية سنة 1843م.

3-1-4- مسجد سيدي عبد الرحمان:

يعد مسجد سيدي عبد الرحمان من بين المساجد الشعبية بمدينة الجزائر لاحتوائه على ضريح عبد الرحمان بن عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي، وهو من أئمة وعلماء

الجزائر، وكان بنائه في عهد الباشا مصطفى الذي حكم ما بين 1610م-1613م، ومساحته مقدرة بحوالي 1400 متر مربع، وله مئذنة مستوحاة من الطراز المغربي ذو علو 14م، وهي ترتكز على أعمدة أسطوانية مزينة بزليج، أما قاعة الصلاة فهي صغيرة وبسيطة مقارنة بالمساجد الأخرى على غرار الجامع الكبير وجامع كتشاوة.

3-1-5- جامع السيدة:

يعد جامع السيدة من بين المساجد السبعة الرئيسية منذ القرن 16م، ويقع في سوق الخضار قريب لدار السكة (ضرب النقود)، وأعيد بنائه في القرن12ه (1198ه/1781م) على يد الحاكم محمد باشا الذي دام حكمه 25 سنة من 1179ه/1765م إلى 1205ه/1790م، فخلال بنائه اشترى الباشا الحوانيت المحيطة بالمسجد، واتخذه الباشوات مصلى لهم لقربه من قصر الجنبية وهو قصر السلطان والحكم؛ وعمارته الداخلية مكونة من بيت الصلاة الذي تعلوه في الوسط قبة مستندا إلى 20 عمودا من الرخام، ومئذنته الواقعة عند الزاوية الشرقية، وقد هدم المسجد في أوائل سنوات الاحتلال الفرنسي للجزائر بغرض توسيع الطريق سنة 1830م.

3-1-6-جامع السفير:

يعتبر جامع السفير من بين المساجد العتيقة بمدينة الجزائر يقع في حي الجبل، بناه القائد صفر بن عبد الله بماله الخاص وهو مسيحي اعتنق الدين الإسلامي عام 941ه/1534م وأعاد ترميمه الداي حسين ما بين سنتي 1826-1827م، وعلى الباب الرئيسي للمسجد كتابتان دلالتان على بنائه وإعادة بنائه هذا نصها: "بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، هذا مسجد بديع... أمر ببنائه خدم سلطاننا الكبير المحترم، زعيم الجهاد، المدافع على دين ملك الكون، خير الدين أعانه الله ونصره ذلك الخدم التقي العابد لله سفر، غفر الله ذنوبه وبدأ بنيانه في شهر رجب الأوحد من السنة السالفة للسنة الجارية، وتم بنيانه في الثاني شهر ربيع الأول في سنة 941هجرية تقبل الله هذه الأعمال تقربا وزلفى لوجهه الكريم."؛ لقد أضاف الداي حسين لمحرابه زليج ملون بين الأبيض والأزرق وإطارات للنوافذ، وبعد الاستعمار الفرنسي للجزائر فقد صدرت السلطات الفرنسية جميع أوقاف الجامع.

3-1-7- الجامع الكبير بمدينة قسنطينة:

يقع الجامع الكبير ببطحاء السويقة بشارع بن مهيدي على اليمين متوجه نحو القنطرة القديمة الواصلة بين المدينة ومحطة السكة الحديدية وحي الأمير عبد القادر، ويعد الجامع من أقدم المساجد بمدينة قسنطينة بني في القرن 13هـ، مستدلا بذلك من خلال الكتابة الأثرية المكتوبة بالخط الكوفي حول المحراب وجاء نصها على النحو الآتي: "بسم الله الرحمان الرحيم صلي الله على سيدنا محمد وسلم هذا عمل محمد بن بوعلي الثعالبي سنة ثلاثين وخمسمائة شيده الأمير الحمادي الأخير يحي عبد العزيز سنة 530هـ/1236م"؛ يكاد يكون شكل بيت الصلاة مربعا باعتبار طول الجدار الجنوبي الشرقي 22.30م والجنوبي الغربي 22.30م، والشمالي الشرقي 22.20م، أما الشمالي الغربي فيقدر طوله 20.60م، ومنبر المسجد مصنوع من الخشب يقع على يمين المحراب له باب مزين بقوس مزينة بزخارف نباتية؛ وبعد الغزو الفرنسي للجزائر تعرض المسجد للهدم في أحد أطرافه ما تسبب في تهديم المئذنة بغرض فتح الطريق وتوسيعه.

3-1-8- الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة:

يقع الجامع الأخضر في رحبة الصوف أو حي الجزارين ما يعرف بحي قديد صالح رقم 75 وهو في وسط المدينة حاليا، يعود تاريخه للعهد العثماني بناه الداي حسين بن حسين الملقب ببوحنك الذي تولى حكم قسنطينة حوالي من سنة 1149هـ/1736م إلى 1168هـ/1754م، والذي تم بنائه في عام 1157هـ/1743م؛ يعتبر الجامع الأخضر من بين المساجد المذهب الحنفي، كان يضم أضرحة العائلة وقد ألحقت به مدرسة بناها صالح باي وتسمى مدرسة جامع سيدي الأخضر، وقد أطلق عليه هذه التسمية نسبة لأول عالم دفن بالمسجد بالإضافة إلى أفراد عائلته، كما أخذ هذا الاسم بناءً على اللون طلائه بالأخضر كما سمي كذلك بالجامع الأعظم، محرابه يعود للعهد العثماني ذات مقاسات عرضه 1.58م وعمقه 0.42م، وفيما يخص منبره المصنوع من الخشب وبيت الصلاة الذي فيه قبتان أحدهما أمام المحراب وثانيهما في الوسط، ومئذنة الجامع الأخضر ذات القاعدة المربعة.

3-1-9- جامع سيدي الكتاني بمدينة قسنطينة:

يقع جامع سيدي الكتاني بالجهة الشمالية من مدينة قسنطينة أسفل القصبة بجوار سوق الجمعة، أمر ببنائه صالح باي بن مصطفى الزميلي وهو تركي الأصل، أثناء ولايته بقسنطينة 1190هـ/1776م، يتميز جامع سيدي الكتاني بشكله المستطيل المكون من طابقين على ما تظهره الواجهات الثلاثة الشرقية والغربية والجنوبية، حيث يقع بيت الصلاة في الطابق العلوي وهو مستطيل الشكل، يحتوي منبره على كتابة أثرية نقشت على لوحة رخامية وهي تعلو مدخل المنبر ونصها جاء على النحو الآتي: "لا إله إلا الله محمد رسول الله بني منبرا بالعز والبصر له سبل الخيرات تاريخه رشد" ويعتبر المنبر غاية في الجمال والرقة والزخرفة؛ حيث حوى المسجد على مجموعة من المقابر لجعله كضريح هذا بإضافة إلى المدرسة الكتانية ما استدعى سنة 1947م تسميته بالمعهد الكتاني.

3-1-10- جامع سوق الغزل بمدينة قسنطينة:

يقع جامع سوق الغزل أو جامع حسين باي شرق قصر أحمد باي إلى الغرب من شارع ديدوش مراد، وقد كان من أجمل مساجد مدينة قسنطينة وأوسعها وهو منسوب إلى الباي حسين بوكمية الذي كان حاكما سنة 1115هـ/1713م؛ يمتاز الجامع بمحرابه وبقبابه وزخرفة جدرانه ومنبره بطول 3.34م ارتفاعه 2.78م عرضه 0.96م، ورواق المسجد المزين بزخارف نباتية وهندسية؛ حوله المستعمر الفرنسي إلى كنيسة بعد سنتين من احتلال المدينة في 03مارس 1839م.

3-1-11- مسجد الباشا بمدينة وهران:

لقد أمر ببناء مسجد الباشا وتحمل نفقاته الباشا حسن داي وهذا بعد الفتح الثاني والأخير لمدينة وهران سنة 1207هـ/1792م وهو مسجد جامع، والدال على ذلك اللوحة التذكارية المنقوشة على الحجر والمحفوظة بمتحف أحمد زبانا بوهران، وهذا جزء من نصها: "بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، الحمد لله وحده هذا الجامع بناه المعظم الأرفع الهمام الأنفع مولانا السيد حسن باشا..."؛ تأسس مسجد الباشا بمدينة وهران سنة 1796م في الشمال الشرقي للمدينة القديمة. يتألف المسجد من بيت الصلاة متوسطة المساحة مربعة الشكل تتوسطها قبة مركزية، وعلى مئذنة

مثمنة على غرار المآذن العثمانية واجهتها مغطاة ببلاطات خزفية، ويوجد في أسفله مدرسة قرآنية.

3-1-12- مسجد الباي محمد عثمان الكبير:

أسس الباي محمد بن عثمان الكبير هذا المسجد على أرضية منبسطة ومائلة في أسفل سفح جبل المايدة الذي يدعى حاليا بجبل مرجاجوا جبل سيدي عبد القادر، وإلى اليمين هذا المسجد إلى الجنوب وعلى بعد حوالي 200م يوجد مسجد وضريح الشيخ محمد بن عمر الهواري، ويظهر المسجد جليا من خلال مئذنته ما جعله من أجمل المساجد بمدينة وهران في العهد العثماني من حيث الرونقة والزخرفة والابداع الفني والاتساع، حيث بيت صلاته ذو شكل مضلع مساحته تقدر حوالي 500 متر مربع، بعد تأسيسه 1792م استمر في أداء دوره ورسالته الدينية والثقافية 39عاما ما أن احتل الفرنسيون المدينة عام 1831م فاستولوا عليه، وكان أول ضحية للتخريب والطمس، حيث حولته السلطات الفرنسية إلى مستشفى عسكري منذ يوم 1831/08/17م وطمست معالمه المعمارية، إذ أحط بالمئذنة جدار فاصل عن البنايات المجاورة وبيت الصلاة الذي حوله لاستقبال مرضى الجنود الفرنسيين.

3-1-13- الجامع الكبير أو جامع مصطفى بن التهامي بمدينة معسكر:

يقع الجامع بقلب مدينة معسكر إلى الغرب من مسجد سيدي حسن على بعد بضع مئات من الأمتار، بدأ في تشييده في فاتح محرم 1117هـ/25 أفريل 1705م، والذي أمر ببنائه الباي عثمان ابن إبراهيم خلال إقامته بتلمسان، حيث سجل تاريخ تأسيسه على لوحة تذكارية ببيت الصلاة ومقاساتها 25سم ارتفاع و44سم عرضا، ويحتوي بيت الصلاة على ثمانية نوافذ شرقية وستة على جهتين الجنوبية والغربية، كما به ثلاثة خزائن للكتب في جدار القبلة، أما مئذنته المطلة على الشارع الشرقي عن طريق مجموعة من النوافذ؛ عرف الجامع الكبير بهذا الاسم منذ تأسيسه، وعندما أدخلت عليه التغيرات والتوسيعات أطلق عليه اسم جديد ألا وهو الجامع مصطفى بن التهامي صهر الأمير عبد القادر.

3-2- الزوايا والمدارس التي تعود للعهد العثماني:

تعد الزوايا والمدارس في الجزائر خلال العهد العثماني من بين المراكز الثقافية والتعليمية، حيث تقومان من الناحية التثقيفية لكل أبناء الشعب من المعوزين والفقراء، وهما

يهتمان بالمجال التعليمي خاصة ما تعلق منه بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكنا تحفظهما للأطفال ونذكر منها:

3-2-1- زاوية الجامع الكبير بمدينة الجزائر:

لزاوية الجامع الكبير مسجدا صغيرا بدون مئذنة يصلي فيه الطلبة ويسكنون بها، حيث كانت ملجأ للفقراء يرجع تاريخ إنشائها إلى 1039هـ /1629م بأمر من الشيخ سعيد قدورة عالم الجزائر ومفتيها الذي توارث أبنائه التدريس في الجامع.

3-2-2- زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر:

تنسب إلى الشيخ عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر حيث تحتوي الزاوية على مسجد صغير له مئذنة مربعة الشكل إلى جانب قبة مثمنة ومحرابه المزين ببلاطات خزفية مستوردة من آسيا الصغرى.

3-2-3- زاوية سيدي مؤمن بمدينة قسنطينة:

تقع بشارع ملاح السعيد التي تنفتح على سويقة باب الجابية بأحد الشوارع الرئيسية، تنسب هذه الزاوية إلى سيدي عبد المؤمن الذي كان يشغل شيخ الإسلام منذ العهد الحفصي؛ تتكون الزاوية من طابقين الأرضي والعلوي، يقع مدخلها الرئيسي في الناحية الغربية، وبعده تأتي السقيفة المستطيلة الشكل هذا من جانب ومن جانب آخر فإن زاوية سيدي مؤمن تتميز بقبة مثمنة بها زخارف بسيطة.

وهناك زوايا عدة كان مصيرها الهدم والتخريب من طرف المستعمر الفرنسي ومن تلك الزوايا نذكر زواية يحي بن محجوبة التي تهدمت سنة 1865م بغرض انجاز مشروع الطريق من طرف المستعمر الفرنسي(طريق بن مهيدي حاليا).

3-2-4- مدرسة شيخ البلد:

تأسست على يد محسن والتي عثر على اسمها في عقد شرعي حرره القاضي الحنفي سنة 1162هـ/1748م، وهي ملحقة بداره التي تقع في حومة كوشة علي في منطقة جبلية، هدمت المدرسة سنة 1848م.

تقع مدرسة ساحة الجنينة قريبا من زاوية الشرفاء وهي مدرسة صغيرة أسسها محمد خوجة بن مصطفى سنة 1709م؛ وفي مدينة قسنطينة انتشرت المدارس على غرار المدرسة الكتانية ومدرسة سيدي لخضر.

3-3- الأضرحة التي تعود للعهد العثماني:

لقد انتشرت العمارة الجنائزية أو ما يعرف بالأضرحة بالجزائر خلال العهد العثماني بحيث لا نجد قرية أو مدينة تخلو من ضريح أو أكثر، ونذكر منها:

3-3-1- ضريح سيدي محمد بمدينة الجزائر:

بني هذا الضريح الشيخ محمد بوقبرين أيام حكم الداي حسين باشا عام 1258هـ/1791م، ويتكون ضريح سيدي محمد من قاعتين بثلاث أروقة، الرواق الرئيسي يتقدمه المحراب ويعلو الضريح قبة مثمنة.

3-3-2- ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي:

يعد ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي أحد الأضرحة متعددة ومتنوعة المقاصد والغايات المرجوة منه، وكان محل إقبال المجتمع العاصمي بمختلف فئاته ومستوياته الاجتماعية، خاصة في المناسبات الدينية على غرار المولد النبوي الشريف. ضف إلى ذلك إلى أضرحة أخرى على غرار ضريح حسن باشا وضريح سيدي الكتاني.

3-4- تأثير العمارة الدينية والجنائزية بالجزائر بالعمارة العثمانية:

برز التأثير العثماني على العمارة الجزائرية بعد انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية، تمثل هذا التأثير في عدة معالم (عناصر) مازال بعضها قائما إلى يومنا هذا، من أهم هذه الأمثلة نذكر المساجد، التي تأثرت بشكل كبير بالعمارة الدينية العثمانية، وخصوصا المساجد الكبرى بالمدينة، التي تميزت بأسلوبها العثماني ذو القبة المركزية الكبيرة، التي تحيط بها قبب أخرى أصغر منها، بخصائص تشبه المساجد الاسطنبولية، وكذلك يلاحظ التأثير العثماني على مآذن المساجد رغم أن سبنسر W.Spencer قد صرح أن المآذن (المنارات) الجزائرية لم تكن بنفس تصميم المآذن العثمانية، حيث كانت بشكل مربع الزوايا بحجم مشابه تقريبا لأبراج الساعة الأوروبية، على عكس المآذن التركية المتميزة بشكلها الدائري أو المثمن، مفتقدة بذلك لطولها ودقة رسم حجرها، لكن سبنسر Spencer لم يلحظ أن المآذن

العثمانية قد دخلت بالموازاة مع المآذن الجزائرية رباعية الزوايا، كدليل على ذلك نذكر جامع السفير الذي بني سنة 1534م بأمر من سفار بن عبد الله (مسيحي أسلم بالجزائر رقّاه خير الدين بربروس في عهده)، تميز هذا المسجد بمآذنه المثمنة الأضلاع ذات التأثير العثماني، التي بدأت تحل تدريجيا محل المآذن الرباعية الأضلاع؛ من أبرز الأمثلة كذلك على التأثير العثماني بالنسبة للمساجد نذكر مسجد علي بتشين الذي بني سنة 1622م، من طرف الرايس علي بتشين، تميز هذا المسجد بقبته المركزية الواسعة المحاطة بقبيبات أصغر منها ونتيجة التأثير العثماني الكبير الظاهر عليه، ذهب البعض في تشبيهه بمسجد السلطان أحمد أو ياني كامي أو اليلي كامي الموجودة باسطنبول، وكذلك نذكر جامع كتشاوة الذي كان عبارة عن أطلال ترعى بها قطعان الماعز، لذلك أطلق على المكان "كجي أوه"، أو كما ينطق بالتركية "كجي أوفه" التي تعني سهل الماعز، لقد أعيد بناء هذا الجامع سنة (1794–1795) في عهد حسان باشا، فبالإضافة إلى التسمية يظهر التأثير العثماني بشكل كبير عليه من خلال قبته الواسعة، التي تحيط بها قبيبات أخرى صغرى، كذلك من خلال المآذن الطويلة المثمنة الأوجه والفضاء الداخلي الواسع مع التقليل من الدعامات، حتى الباب القديم لهذا الجامع الذي احتوى على شعار إسلامي لأحمد لبلاتشي، وهو وكيل النجارين بالجزائر من أصول عثمانية؛ دون أن ننسى الجامع الجديد الذي بني سنة 1660م والمسمى كذلك بجامع الحواتين(صيادي السمك) بسبب قربه من شاطىء البحر، مما يسهل على الصيادين الصلاة فيه أثناء عملهم، لقد دار الجدل حول التأثير الطاغي على هذا الجامع، أهو تأثير أوروبي، أم تأثير عثماني؟ وللإجابة على ذلك نفترض أن هذا الجامع ذو تأثير أوربي، كون المهندس الذي قام بتصميم الجامع أسير مسيحي، كرمز على ديانته، قام بتصميمه بالشكل الصليبي، لقد تضاربت الآراء حول هويته، وحسب الروايات المتداولة فإنّ هذا المهندس إيطالي، كما يذكر كذلك أنه من أصل انجليزي، فقد رأسه وصُلب جرّاء بنائه لهذا المسجد بشكله الصليبي، كي يكون عبرة للآخرين وتبقى هذه مجرد خرافات لأن المهندس من أصل ايطالي وما يؤكد ذلك وجود المساقط الصليبية التي يغطى تقاطعها بقبة مركزية كبيرة في عصر النهضة، أخذا عما قبلها في العمارة البيزنطينية، خصوصا بإيطاليا في مدينة فلورنسا؛ أما الفرضية الثانية وهي فرضية التأثير العثماني، التي تقر أن هذا

المسجد قد بني بأمر من مليشيا الجزائر، عن طريق مؤسسة حنفية تخصص أموالا لفعل الخير لصالح الحنفيين (seboul kheirat evkaf)، كما تدل تسميته (yeni cami) على ذلك والتي تعني الجامع الجديد، كما يوجد تصميم شبيه له في (كيليس كامي kilis) camiبإسطنبول، حيث لا أساس لقصة المهندس المسيحي الذي بنى هذا الجامع، كونه بُني من طرف العثمانيين وللعثمانيين، ومن الطبيعي أن يأخذ الشكل الذي هو عليه، لأن محمد الفاتح (محمد الثاني) قد أقر بكنيسة القديسة صوفيا (أيا صوفيا) (hagia sophia) ذات الشكل المتصالب(cruciale) كطراز خاص بالمساجد العثمانية، لذلك جاء تصميم الجامع بشكل صليب لاتيني مستوحى من العمارة البيزنطية، كما وجد نقش به ذكر فيه اسم الحاج حبيب، وهو مدير الأشغال من أصل عثماني على الأرجح، ورغم اختلاف الفرضيين إلا أنهما متفقتان في الأصل وهي العمارة البيزنطية، حيث استوحى هذا الجامع من كنيسة القديسة صوفيا باسطنبول؛ أما فيما يخص المقابر ونظرا لكون شخصيات السلطة من أصول عثمانية، فقد عكست مقابرهم معتقداتهم الجنائزية العثمانية، فبالنسبة لمقابر الدايات فهي شبيهة بمقابر السلاطين العثمانيين في بورسا (bursa)، بطابقين يوجد في نهايتها قبب عديدة الزوايا منتهية بقبة دائرية صغيرة، أما بالنسبة لمقابر الشخصيات الهامة والتي تأتي في مراتب اقل من الداي، فهي مبنية على الطراز التركماني يورت (yurt)، المتميزة بكونها نصف بيضاوية الشكل.

4- المنشآت الدّفاعية والعسكرية:

لقد ركزت الدولة العثمانية خلال تواجدها بالجزائر في تقوية المظاهر العسكرية على غرار الأسوار والحصون والأبراج، لما توجهه من أخطار داخلية وخارجية، ونذكر:

4-1- الأسوار:

يعد السور من أهم عناصر المدينة الإسلامية عموما والمدن العثمانية خصوصا، فقد تحاط بسور أو سورين كما كانت تحفر حولها الخنادق، حيث إن الأسوار لها دور في حماية أمن المدن وإثبات وجودها، ما يجعل السور من المعايير الحضارية التي تميز المدن، ومن أهم المدن المتميزة بالأسوار نذكر مدينة الجزائر التي أكد هايدو في القرن 16م يبلغ طول

السور بالجهة البر حوالي 1800 خطوة ومن الجهة البحر حوالي 1600 خطوة (الخطوة تبلغ حوالي 1م)، وقد بني بالحجارة المصقولة من الأسفل، وبالآجر من الأعلى بسمك ثابت قدره 12 قدم وارتفاعه يبلغ 30 قدما من جهة البر و 40 قدما من جهة البحر، كما دعم السور بمجموعة من الأبراج المربعة موزعة بانتظام ومن جهة البر يحيطه خندقا عرضه 20 قدم وعمقه 7 أقدام، كما تحدث دوفو عن وجود سور آخر أقل ارتفاعا من الأول يلي الخندق مباشرة؛ ومن الجدير بالذكر أن هذه الأسوار لم تبن في وقت واحد بل إنها خلاصة أعمال متراكمة وتجديدات وترميمات متتابعة من طرف عدة حكام تداولوا على الجزائر خلال التواجد العثماني بها، علما أن مدينة الجزائر كانت محاطة بأسوار منذ القرن 4هـ/10م استنادا إلى نص ابن حوقل: "...وجزائر بني مزغنان مدينة عليها سور في نحر البحر..."، وظلت كذلك منذ ذلك الوقت استنادا لوصف الإدريسي لها في القرن 12هـ، والعبدري في نهاية القرن 13م، والبكري في نهاية القرن 15م، وأخيرا الوزان في بداية القرن 16م، كلها تحدثت عن أن المدينة محاطة بأسوار منيعة.

4-2- الأبراج:

تعد الأبراج من بين التحصينات العسكرية المستعملة كمراكز للمراقبة أو تساعد الجنود في الدفاع عن المدينة، وهي تختلف من حيث الحجم والشكل حسب أهمية المدينة ونذكر منها:

4-2-1- أبراج دار السلطان بمدينة الجزائر:

تتمثل في برج باب الوادي وبرج الثغريين وبرج تامنفوست وبرج الحراش، حيث عرف البرج الأول بعدة تسميات على غرار برج 24 ساعة وبرج ستس تاكليت، وقد بني البرج سنة 976هـ/1568م مستدلا على ما وارد في الكتابة التذكارية الموجودة بباب البرج هذا من جانب ومن جانب آخر، يعتبره هايدو من بين الأبراج الرئيسية بالمدينة إبان القرن 16م، أما البرج الثاني المتعلق ببرج الثغريين فهو يقع في مرتفع جنوب حصن الإمبراطور بحوالي 330م وغرب القصبة بحوالي 200م، بني من طرف محمد باشا سنة 976هـ/1568م، واندثر تماما بفعل اشتعال النار بمخزن البارود، وقد عرف بعدة تسميات منها برج النجمة وبرج محمد باشا، وثالثهما المتعلق ببرج تامنفوست فهو يقع في الناحية الشرقية من خليج

الجزائر، وذكر كلاين تاريخ بنائه والتي كان في سنة 1071هـ/1661م في عهد الباشا اسماعيل، كما أرجع مارسي تاريخ بنائه إلى سنة 1134هـ/1722م مستدلا بذلك على كتابة أثرية هذا من جهة ومن جهة أخرى، نجد برجا رابعا متمثلا في برج الحراش والذي عرف بعدة تسميات منها برج القنطرة والدار المربعة.

4-2-2- أبراج بايليك الشرق:

نذكر منها برجين بمدينة قسنطينة وهما برج الكدية المبني سنة 1037هـ/1628م وبرج المنصورة، وبرجين بمدينة بجاية وهما برج موسى وبرج عبد القادر.

4-2-3- أبراج بايليك الغرب:

نذكر منها البرج الأحمر وبرج العيون وبرج المرجاجو وبرج لمحال وبرج العسكر.

4-3- القلاع:

تعتبر القلاع من بين النظم الدفاعية بالجزائر خلال تواجد العثماني، وهي عبارة عن مدن محصنة محتلة موقع استراتيجية ونذكر منها:

4-3-1- قلعة مدينة الجزائر (القصبة):

تقع القلعة في أعلى المدينة بقرب من الباب الجديد أو بالقسم المسمى عند السكان باسم "الجبل"، تحدها من الجهة الشمالية حدائق الرائق أو ما يسمى بجنائن الداي، ومن الجهة الجنوبية حي الثغرين، ومن الجهة الجنوبية الشرقية طريقا رابط بينها وبين حي الثغرين؛ وقد تعددت التسميات التي أطلقت عليها ونذكر منها حصن القصبة أو القصبة أو قلعة الجزائر القصبة أو قصر الداي هذا من جهة ومن جهة أخرى، يعود تاريخ بنائها إلى عام 912هـ/1516م من طرف عروج بربروس، وأتممها خضر باشا سنة 924هـ/1519م، حيث اكتسبت أهمية بالغة بعد سنة 1231هـ/1816م إثر ما قرر الداي علي باشا بنقل مقر الحكم من قصر الجنينة إليها؛ وفقد وصفها العديد من الباحثين وحتى العسكريين وقالوا فيها بدءً من التمغروطي بقوله: "...وهي عامرة كثيرة الأسواق بعيدتها، كثيرة الجند حصينة لها ثلاث أبواب..." وقال عنها الضابط الفرنسي بوتان في تقريره: "أن القسم العلوي الذي يشكل ثلثي مساحة المدينة، وصفه أنه من عجائب المدينة، كما كان ممنوعا على الأوروبيين أن يدخلوه، ولكن بوتان بحيله تمكن من اختراقه عن طريق باب الجديد، ورؤيته عن قرب مشيرا

إلى أن القلعة تتخذ شكلا مثلثا، حيث يشترك ضلعان مع المدينة، في حين أن الضلع الثالث الذي يواجه البحر يحتوي على خندق وسور وهو من أقوى الأسوار"، كما وصفها ويليام شلر قائلا: "... وأما القلعة فهي مقر الدايات حاليا في الجزائر وهي عبارة عن مدينة محصنة تشغل جميع القسم الأعلى من المدينة، وحوالي عشر مجموع مساحة مدينة الجزائر..."، ويضيف بافو قائلا: " تضم القلعة مجموعة من الدور والأجنحة وتقع مساكن الداي في الجهة اليمنى عند مدخل القلعة، وهي مزدانة بأعمدة رائعة الجمال وأروقة غنية بالزخارف..."؛ ومن خلال الرسومات القديمة التي وضعت لمدينة الجزائر خلال أواسط القرن السادس عشر تظهر أن القصبة كقلعة ذات برجين يتكونان من ثلاث طوابق كان الأول على مدخل القلعة والثاني على المساحة التي أنشئ عليها مصنع البارود، أما المحيط العام فهو عبارة عن بطارية تظهر لها فتحتين للمدفعية تشرف على الفحص من الناحية الشرقية.

4-3-2- قلعة القصبة بمدينة وهران:

تقع على الضفة الغربية لواد الرحى "رأس العين" على سفح جبل المايدة "مرجاجو"، ولم يعرف بالضبط تاريخ تأسيسها، ولكن الغالب أنها تأسست عند تجديد بناء المدينة في مرحلتها الثانية خلال سيطرة محمد بن خضر ومحمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون ويعلي اليفريني أواخر عهد الدولة الرستمية، وخلال الهجرة الأندلسية الواسعة إليها في مطلع القرن 10م (240هـ/903م)؛ ومن ناحية تخطيطها فهي على شكل مستطيل تمتد من الجنوب إلى الشرق على الضفة الغربية لواد الرحى، وحافة المجرى الذي ينزل من قمة الجبل الذي أقيم فوقه برجا، ويمتد طريقها الجنوبي الشرقي إلى حافة واد الرحى وطريقها الجنوبي الغربي إلى عمق الجبل، وتطل على حي لابلانسا الإسباني وحي البحرية في الشمال؛ وتعتبر القلعة مركزا للسلطة الحاكم والأمراء تتمحور حولها المساكن بمرور الزمن، وهي تتألف من قسمين القسم العلوي على سفح الجبل يمثل مقر الحكام في العهود العابرة عليها، والقسم السفلي يحتوي على ثكنة للجيش ومخازن للأسلحة، وحول جزء منه إلى سكن نساء الدايات في عهد الأتراك، ويتصل هذان القسمين بباقي أجزاء المدينة بواسطة بابين. لقد تعرضت القصبة للتخريب في عدة مناسبات من بينها ما هدمه من أجزاء منها الكاردينال كزيمينيس سنة 914هـ/1509م، وجدد الإسبان بنائها عام 997هـ/1589م والذين أحاطوها بسور خارجي

محتويا على أبراج؛ وعند فتح بوشلاغم لمدينة وهران عام 1120هـ/1708م اتخذ من القصبة مقرا لسكانه وحكمه، وجدد ما أمكن تجديده من عمرانها، وعندما ضرب زلزال عام 1204هـ/1790م تهدمت وتخربت أجزاء منها، ولكن قام محمد الكبير بإصلاح الكثير من خرابها واستقر بها.

4-3-3- قلعة المشور بمدينة تلمسان:

تقع قلعة المشور في الجهة الجنوبية للمدينة وهي على شكل مستطيل، ومحصنة بأبراج مربعة ونصف دائرية محاطة بأسوار وخنادق، وللقلعة بابان مقببان الأول قرب الزاوية الجنوبية الشرقية ويعرف بباب التروية والثاني في الجهة الغربية ويعرف بباب الحديد.

5- قائمة المراجع المعتمدة في المحور الثالث:

- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث الجزائر، المدية، مليانة، ط1، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- سعيدوني ناصر الدين، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب) من القرن 16 إلى 19م، العدد: 31، حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة الكويت، 2010م.
- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- أندريه ريمون، المدن الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1990م.
- حليمي علي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م.
- مصطفى أحمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها خلال العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، ط1، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.
- مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، ط1، دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث، دبي، 2000م.
- عقاب محند الطيب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م.
- عقاب محند الطيب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

- كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.
- محمد حاج سعيد، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها ودورها وعمارتها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2، 2014-2015.
- فهيمة أعراب، التراث والسياحة من خلال مدينة قسنطينة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص التراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011.
- مبروك مهيريس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
- محمود توفيق سالم، أساسات الجيولوجيا الهندسية، دار الراتب الجامعية، بيروت، ب.ت.
- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ج. 2، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ب.ت.
- محمد حماد، أعلام الهندسة وأعمالهم. فرانك لويد رايت ، مجلد.2، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966.
- محمد بدر الدين الخولي، المؤثرات المناخية والعمارة العربية، جامعة بيروت العربية، لبنان،1975.
- خالد عزب، فقه العمارة الإسلامية، ط.1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1997.
- برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة وتعليق: سيد رضوان علي، ط.2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، ب.ت.
- أحمد مرسي الصفصافي، مدن تراثية، ج3، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999.
- خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1975م.
- شالر وليام، مذكرات وليام شالر(1816-1824م)، تعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1982م.
- براهايمي نصرالدين، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، الجزائر، 2010.
- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1981م.
- بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الأثرية، ترجمة: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1979م.
- لعرج عبد العزيز، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 وج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998م.
- خلاصي علي، قصبة مدينة الجزائر، ج1 وج2، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- خلاصي علي، القلاع والحصون في الجزائر، مطبعة الديوان للطبع والتوزيع، الجزائر، 2008م.
- هاينريش فون مالتسن، ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2009م.
- عبد القادر نورالدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.
- العسلي بسام، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470-1547م، دار النفائس للنشر والتوزيع، بيروت، 1986م.
- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ، ج2، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.
- خيرة بن بلة، المنشآت الدينية خلال العهد العثماني بالجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008/2007م.
- رشيد بورويبة، وهران فن وثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983م.
- منصور درقاوي، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين16-19م بين التأثير والتأثر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2014-2015م.
- سيد احمد باغلي، الجزائر، ط2، فن وثقافة، وزارة الإعلام، الجزائر، 1982.
- محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974.
- محند الطيب عقاب، "التراث المعماري الإسلامي لمدينة الجزائر "، حوليات المتحف الوطني للآثار، مطبعة سومر، العدد8، الجزائر، 1999.
- عبد الفتاح بن جدو، مظاهر العمران بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة البحوث التاريخية، المجلد: 06، العدد: 02، ديسمبر 2022، ص ص 440-465.
- Deluz (J.J.); L'urbanisme et l'architecture d'Alger, aperçu critique, O.P.U,1988.

فهرس الموضوعات

السداسي الخامس

المحور الأول: استراتيجية العمران في الفكر الإسلامي (01-10).

1- مفهوم المدينة ونشأتها.....01

1-1 مفهوم العمران.....01

1-2- الحاضرة.....02

1-3- المدينة.....02

1-4-المصر.....03

2- منهج الفكر العمراني عند المسلمين.....03

3- روّاد الفكر العمراني عند المسلمين.....04

4- فقه العمارة الإسلامية.....05

5- تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة الإسلامية.....08

6- قائمة المراجع المعتمدة في المحور الأول.....10

المحور الثاني: التّخطيط المادّي للمدينة الإسلامية(11-29).

1- 1- نشأة المدينة الإسلامية ومراحل تطوّرها.....11

2- شروط اختيار مواقع المدن والظروف المتحكمة في انتشار العمران الإسلامي.....14

2-1- شروط اختيار مواقع المدن الإسلامية.....14

2-2- الظروف المتحكمة في انتشار العمران الإسلامي.....17

2-2-1- العامل الطبيعي.....18

2-2-2- العامل السياسي.....18

2-2-3- العامل العسكري.....19

2-2-4- العامل الاقتصادي.....20

2-2-5- العامل الديني.....21

3- خصائص تخطيط المدينة الإسلامية.....21

4- أنماط المدن الإسلامية المبكّرة.....22

4-1- أنماط المدن الإسلامية.....22

4-1-1- المدن المعسكرات.....23

4-1-2- المدن العواصم "الإدارية".....24

4-1-3- المدن الدينية المقدسة.....25
4-1-4- المدن التجارية 26
4-2- المدن الإسلامية المبكرة.....27
4-2-1- مدينة البصرة.....27
4-2-2- مدينة الكوفة.....27
4-2-3- مدينة الفسطاط.....27
4-2-4- مدينة واسط 27
5- قائمة المراجع المعتمدة في المحور الثاني.....28
المحور الثالث: مفاهيم عامّة حول العمارة الإسلامية(30-50).
1- الخصائص الفنّية والتّقنية في العمارة الإسلامية.....30
2- مدارس وطرز العمارة الإسلامية.....31
2-1- الطراز الأموي.....31
2-2- الطراز العباسي.....31
2-3-الطراز الفاطمي.....32
2-4-الطراز المملوكي.....32
2-5-الطراز المغربي.....32
2-4-الطراز الأندلسي.....34
3- ابتكارات العمارة الإسلامية.....35
4- تأثيرات العمارة الإسلامية على غيرها.....36
5- مكونات العمارة الإسلامية.....37
5-1- المنشآت الدينية.....38
5-1-1- الجامع.....38
5-1-2- دور القراء والكتاتيب.....39
5-1-3- الخانقاه 39
5-1-4- التكية 40
5-1-5- المدرسة.....40
5-1-6- الزاوية.....41
5-2- المنشآت العسكرية.....42
5-2-1- الرباط.....42

5-2-2- الأسوار.....42
5-2-3- القلاع.....43
5-2-4- الأبراج 44
5-3- المنشآت المدنية.....45
5-3-1- دار الإمارة.....45
5-3-2-الشوارع.....45
5-3-3- السوق.....46
5-3-4- البيمارستان.....47
5-3-5- الخانات.....48
5-3-6- الحمامات العامة.....48
5-3-7- الأسبلة.....49
6- قائمة المراجع المعتمدة في المحور الثالث.....49

السداسي السادس

المحور الأول: تطور الحركة العمرانية ببلاد المغرب الإسلامي(51-79).

1- الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد المغرب.....51
1-1- الاطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي.....51
1-2- الإطار التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي.....52
2- الخصائص العامة للعمران ببلاد المغرب الإسلامي.....52
3- العوامل البشرية والطبيعية المتحكمة في حركة العمران ببلاد المغرب الإسلامي.....55
3-1- العوامل الطبيعية.....55
3-2- العوامل البشرية.....56
4-المدن ببلاد المغرب الإسلامي في فترة القرون الوسطى.....56
4-1- مدينة القيروان.....57
4-2- مدينة تاهرت.....58
4-3- مدينة "قلعة" بني حماد.....61
4-4- مدينة بجاية.....64
4-5- مدينة تلمسان.....67
5- عمران الجزائر في الفترة العثمانية.....68
5-1- الوجود العثماني بالجزائر..... 68

5-2- مراحل الحكم العثماني بالجزائر.....71
5-2-1- مرحلة البيلربايات 1519م-1587م.....71
5-2-2- مرحلة الباشوات 1587م-1659م.....73
5-2-3- مرحلة الأغوات 1659م-1671م.....74
5-2-4- مرحلة الدايات 1671م-1830م.....75
5-3- العمران في الجزائر خلال العهد العثماني.....76
6- المراجع المعتمدة في المحور الأول.....78
المحور الثاني: العمارة الإسلامية ببلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط(80-95).
1- العمارة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي.....80
1- 1- المساجد في المغرب الإسلامي.....80
1- 1- 1- مسجد بوفتاتة أو بوقطاطة 223هـ -226هـ/838م-841م.....80
1- 1- 2- المسجد الجامع بمدينة القيروان.....81
1- 1- 3- المسجد الجامع بمدينة قلعة بني حماد.....83
1-2- الأربطة في المغرب الإسلامي.....85
1-2-1- رباط سوسة 206هـ/821م.....86
2- العمران والعمارة الإسلامية بالأندلس.....88
2-1- نبذة تاريخية عن فتح الأندلس.....88
2-2- المدن الإسلامية بالأندلس.....89
2-2-1- مدينة قرطبة.....89
2-2-2- مدينة ألمرية 90
2-2-3- مدينة غرناطة.....91
2-2-4- مدينة الزهراء.....91
2-3- العمائر الإسلامية بالأندلس.....92
2-3-1- جامع مدينة قرطبة.....92
2-3-2- القصور.....92
2-4- الخصائص العمرانية للمدن الأندلسية.....92
3- نشأة وتطور الطراز المغربي – الأندلسي.....94
4- قائمة المراجع المعتمدة في المحور الثاني.....95

المحور الثالث: العمارة الإسلامية في بالجزائر في الفترة العثمانية(96-126).

1- مفاهيم عامة حول العمارة العثمانية.....96
1-1- الطرز المعمارية المنتشرة خلال العهد العثماني.....97
1-1-1- طراز النهجية(**Mannirism**) (1530 – 1600).....97
1-1-2- طراز الباروك (**Baroque**).....97
1-1-3- طراز الروكوكو.....98
1-1-4- الكلاسيكية الجديدة.....98
1-1-5- الطراز الرومانسي (الرومانسك).....99
1-2- العوامل البيئية والبشرية المحلية المؤثرة على العمارة الجزائرية العثمانية.....99
1-2-1- العامل الأمني.....99
1-2-2- طبيعة الموقع.....100
1-2-3- العامل المناخي.....102
1-2-4- العامل الديني.....103
1-2-5- العامل الاجتماعي.....104
2- العمارة المدنية العثمانية بالجزائر.....105
2-1- القصور في الفترة العثمانية.....107
2-1-1- قصر الدار الحمراء.....107
2-1-2- قصر خديوج العمياء.....107
2-1-3- قصر مصطفى باشا.....108
2-1-4- قصر الآغا.....108
2-1-5- قصر الباي بوشلاغم بمدينة وهران.....108
2-2- المساكن في الفترة العثمانية.....108
2-3- تأثير العمارة المدنية بالجزائر بالعمارة العثمانية.....109
3- العمارة الدينية والجنائزية بالجزائر.....110
3-1- المساجد الأثرية العثمانية 110
3-1-1- جامع كتشاوة بالجزائر العاصمة.....111
3-1-2- المسجد الكبير.....112
3-1-3- المسجد علي بتشين.....112

3-1-4- مسجد سيدي عبد الرحمان.....112
3-1-5- جامع السيدة.....113
3-1-6-جامع السفير.....113
3-1-7- الجامع الكبير بمدينة قسنطينة.....114
3-1-8- الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة.....114
3-1-9- جامع سيدي الكتاني بمدينة قسنطينة.....115
3-1-10- جامع سوق الغزل بمدينة قسنطينة.....115
3-1-11- مسجد الباشا بمدينة وهران.....115
3-1-12- مسجد الباي محمد عثمان الكبير.....116
3-1-13- الجامع الكبير أو جامع مصطفى بن التهامي بمدينة معسكر.....116
3-2- الزوايا والمدارس التي تعود للعهد العثماني.....116
3-2-1- زاوية الجامع الكبير بمدينة الجزائر.....117
3-2-2- زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر.....117
3-2-3- زاوية سيدي مؤمن بمدينة قسنطينة.....117
3-2-4- مدرسة شيخ البلد.....117
3-3- الأضرحة التي تعود للعهد العثماني..... 118
3-3-1- ضريح سيدي محمد بمدينة الجزائر.....118
3-3-2- ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي.....118
3-4- تأثير العمارة الدينية والجنائزية بالجزائر بالعمارة العثمانية.....118
4- المنشآت الدّفاعية والعسكرية.....120
4-1- الأسوار..... 120
4-2- الأبراج.....121
4-2-1- أبراج دار السلطان بمدينة الجزائر 121
4-2-2- أبراج بايليك الشرق.....122
4-2-3- أبراج بايليك الغرب.....122
4-3- القلاع 122
4-3-1- قلعة مدينة الجزائر (القصبة)..... 122
4-3-2- قلعة القصبة بمدينة وهران.....123

4-3-3- قلعة المشور بمدينة تلمسان.....124
5- قائمة المراجع المعتمدة في المحور الثالث.....124
-فهرس الموضوعات.....127